صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
....
الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الرابع عشر « القاهرة فى يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٥٢ — أول أغسطس سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العدد

شروح وحواشى

ذكرى حافظ : عجبت لهذا البؤس العنيف الملح كيف لازم حافظاً فى عمره الأول ، ثم أبى أن يفارق ذكراه فى عمره الثانى !!

قطع هذا البؤس مع الشاعر مراحل عمره الفانى جميعا ، فترك حياته المضطربة من غير منارة ولا مرفأ ، وداره الموحشة من غير ولد ولا زوج ، واسمه النابه من غير جاه ولا مجد ، وقلبه الشاعر من غير عزاء ولا أمل ، ثم فرق بينهما الموت فانقلب حردان يعبث بما خلف الشاعر فى الدنيا وفى الناس من أثر وذكرى ، فتنكر الحكومة حافظا لأن من أسماء البؤس السياسة ، وتهمل الخاصة حافظا لأن من أسماء البؤس النكران ، ويغفل الشعب حافظا لأن من أسماء البؤس النسيان ، وتثور الحفيظة من هذا الجحود بأصدقاء حافظ فيعتزمون إقامة حفل وتأليف كتاب وتشييد ضريح ، ولكن البؤس المغيظ يطوف على أولئك الاصدقاء فى دورهم ، فيقول لاغنيائهم : امسكوا عن البذل ، ولأدبائهم : أمسكوا عن الكتابة ، فحسب كل امرىء ما تباكره به الصروف كل يوم من هموم ومغارم ! ويذكر الشباب الذين طالما هدهد الشاعر عواطفهم بأغانيه ، وخلد مواقفهم بقوافيه ، أن يوم الذكرى يقع فى الحادى والعشرين من شهر يوليو . فيريدون ان يكفروا اليوم عن تقصير الامس ، فيقرر (اتحاد الجامعة المصرية) إقامة حفلة تأبينية ، ثم يعلن عن مكانها وزمانها فى الصحف ، ويتقدم الى الأدباء والوجهاء بالدعوة ، ويعد الاستاذ (البشرى) كلمته فيمن أعد ،

ثم يقبل من ظاهر القاهرة الى نادى الاتحاد فلا يجد غير البواب يتحدث الى نفر من زملائه، عن تعويض الحكومة للنوبيين وموعد أدائه! فيعجب الاستاذ ويغضب، ويستمر عجبه وغضبه يومين حتى يقرأ في بعض الصحف ان اتحاد الجامعة قد رأى تأجيل الحفلة الى الاسبوع الاول من نوفمبر لتكون حفلة جامعية يشترك فيها أساتذة الجامعة وأقطاب الادب... وأعجب من عجب الاستاذ الا يخطر هذا السبب الخفيف ببال الاتحاد، الا بعد إعلان الحفلة وتحديد الميعاد!!

بؤسا لك يا بؤس حافظ!! لقد أسرفت فى العبث حتى اتهم الوفاء، وتظنن البعداء، وتردد على ألسنة الناس قول صاحبك:

فما أنت يامصر دار الاديب وما أنت بالبلد الطيب

على ان حافظا وقد فرض على أدب العصر سلطانه، وأجرى على لسان الدهر بيانه، وكتب فى ثبت الخالدين اسمه - لا يضره بعد ذلك نكران المنكر، ولا ينفعه عرفان العارف!

جاد الله بالرحمة ثراه، كلما تجددت فى النفوس ذكراه، وجزى بالخير (أبولو) فقد كان عددها الخاص بالذكرى أخلص تحية صعدت الى هذه النفس الكريمة، من هذه الدنيا اللئيمة!

تعليق على تعليق: روى صاحب التعليقات فى (البلاغ) أن أديبا مصريا علل شيوع الألفاظ (الجنسية) فى أدب الدولة العباسية، بأن العربى لكثرة ماخالط الأبل والخيل والحمير فقد طبيعة الحياء، فأصبح يقول مايشاء ويفعل مايشاء! ولو صح هذا التعليل المضحك لكان الأدب الأموى أمعن فى المجون، والأدب الجاهلى أدخل فى الاباحية، لصلتهما الوثيقة بحياة البداوة. وهما على النقيض من ذلك أعف الآداب العالمية، وأكثرها استعمالا للأساليب الرمزية. ثم كان من رأى الأستاذ المعلق ان السبب فى ذلك إنما يلتمس فى طغيان الحضارة، لأن الكتاب الأنجليز مثلا لا يتحرجون اليوم ان يذكروا ما كان يتحرج منه بشار وأبو نواس بالأمس. والواقع ان فحش المجون فى الأدب العربى لم ينبت فى أصله ولم يأته من أهله، فان شعراء المجون لم يكونوا بديا من العرب، وإنما كانوا من الموالى الذين أساءوا اخلاق الأمراء بالعدوى. وافسدوا أدب الشعراء بالقدوة، وأكثر الاشعار المجونية إنما كان ينشد فى المجالس الخاصة، ويروى على الالسنة الخاصة، ويدون فى الكتب الخاصة. فلو كان أولئك الأدباء يكتبون للنشر ويؤلفون للجمهور كما نفعل اليوم لطووا فى نفوسهم أكثر مانشروا. ولا تجد اليوم أديبا من الأدباء الا وله مثل هذه الاشياء، ولكنه يقصرها على خاصته فلا يعلنها فى الناس ولا يدونها فى الكتب.

كوبرى الخديو اسماعيل: كذلك كتبت الحكومة بخط الثلث الجميل، على مدخل الجسر الجديد بقصر النيل، فهيأت للعابر المفكر موضوعا للتفكير يقطع به طول الجسر فى راحة ولذة:

بماذا نعلل بقايا الألفاظ التركية فى دواوين الحكومة المصرية، ولم يعد لأمتنا بالترك صلة، ولا للغتنا بالدخيل حاجة؟

منذ سنوات تخلص الترك من العرب - وقد كانوا خاضعين لسلطانهم الأدبى - فرأوا من الغضاضة على استقلالهم أن يظل لسانهم خاضعا للساننا، وأدبهم تابعا لادبنا، فأخذوا يحررون التركية من الألفاظ العربية - وهى معظمها - ويستبدلون بها الفاظا تركية خالصة أو فرنجية مشوبة، ثم ترجموا القرآن، وتركوا الأذان، وأعجموا الصلاة، وفرضوا التركية فرضا على الاجانب فى المدارس والمصارف والاسواق.

ومنذ سنوات تخلص العراقيون من الترك - وقد كانوا خاضعين لسلطانهم السياسى - فكان أول ماعملوه ان طهروا العربية من شوائب التركية فى الدواوين والقوانين والمدارس والجيش. واستبدلوا بهذه الألفاظ الدخيلة على أصالتها وكثرتها الفاظا عربية صريحة.

ومنذ قرن ونيف تخلصت مصر من الترك، ولكنك ماتزال تسمع فى البيوت تيزه وآبله وأبيه وإنشته، وفى المدارس قلفة وطابور ويمكخانه وبحيث جزيرة، وفى الدواوين الفاظا وأساليب ليس الى حصرها من سبيل، وأما فى الجيش فأسماء رتبه وفرقه وعتاده ومصطلحاته وإيعازاته كلها تركية، فبماذا نعلل هذا؟ تعليل ذلك فيما أظن أن الامة المصرية من أشد الامم الشرقية احتفاظا بالقديم، وتسليما بالواقع، ورضا بالحاضر، مع ما قد يكون فى ذلك كله من شر، فليس من طبعها ذلك القلق السامى الذى يدفع النفوس الى التجدد، ويحفز الامم الى التقدم، ويربأ بالانسان ان يقنع من حياته بالنصيب الاخس، وتقدم الامم على هذه الحال فى سبيل الكمال عسير أو بطيء.

رفقاً بالقوارير يا أبا السامى! نشرنا فى عددنا الأخير رأيا للآنسة عفيفة فى (أوراق الورد) للاستاذ الرافعى، ورأت الرسالة مؤاتاة الفرصة ليمتع الاستاذ قراءها بفصل من فصوله الرائعة فتركت له الكلمة، وتفضل الأستاذ فكتب. ولكنه حين وضع يده على الدواة ليتناول القلم الذى كتب به (أوراق الورد) أخطأ فتناول القلم الذى كتب به (على السفود). لحظنا هذا السهو حين قرأنا هذه الكلمة فطويناها معتقدين ان الكاتب الكبير سيتبعها كلمة أخرى تكون منها مكان (بدل الغلط)، تشاركها فى الاعراب، وتنفرد دونها بالصواب.

احمد حسن الزيات

لغو الصيف

للدكتور طه حسين

سمعت طرقا خفيفا فرفعت رأسها وصوتها آذنة بالدخول ، ومدت عينها الى الباب ، فلما فتح لم يرعها الا صديقها الأديب ، يسعى اليها مشرق الوجه ، باسم الثغر ، مبسوط اليد ، مرتبكا مع ذلك شديد الحياء . قالت وقد غشي وجهها احمرار رقيق زاده جمالا وحبا الى النفوس ، مصدره الدهش لهذا المقدم غير المنتظر ، أو مصدره زيها المهمل وثوبها الذي لبسته لنفسها لا للناس ، ولم تكن تقدر ان الطارق أحد غير الخادم التي تعودت أن تطرق عليها الباب في رفق اذا كانت الساعة الخامسة من كل يوم لتحمل اليها الشاي ، فلما رأت صديقها ارتاعت لمرآه ، وقالت في دهش وخجل واضطراب : «أنت من أين اقبلت؟ انجمت من الأرض أم هبطت من السماء ؟ » قال ولم يكن أقل منها ارتباكا واضطرابا : نعم أنا أقبلت من حيث تريدين ، ولكن لي اليك حاجة يا آنسة أعرضها عليك قبل التحية ، وأتمنى لو تجيبيني اليها قبل السؤال والجواب ، فسيكون السؤال طويلا دقيقا ، وسيكون الجواب ملتويا مرتبكا ، ولكن حاجتي يسيرة فاسمعيها مني واقضيها لي ، ثم لنأخذ بعد ذلك فيما تحبين ، قالت وقد اخذت تثوب الى نفسها والى ثوبها : من أين أقبلت ؟ وكيف اراك في نيس وقد تركتك في القاهرة على أنك ستقضي فيها الصيف ؟ قال ثقي يا آنسة اني قد سمعت سؤالك ووعيته ووعيت ما يحيط به من عجب وانكار ، واني سأجيب وسأحاول أن أزيل هذا العجب وأمحو هذا الانكار ، ولكن حاجتي اسمعيها واقضيها قبل كل شيء . قالت لا قبل أن نجلس ، ثم عادت الى كرسيها وقد حولته شيئا عن المائدة وأشارت اليه أن اتخذ هذا الكرسي ، وأخذت تجمع صحفاً كانت منشورة على المائدة ، ثم قالت مبتسمة : وما عسى أن تكون هذه الحاجة التي تقدمها بين يدي تحيتك ، وقد بعد العهد بينك وبيني والتقينا من وراء البحر ، فقد تركتك منذ أسبوعين ، قال بل منذ عشرة أيام ان لم أخطىء الاحصاء ، فقد زرتك قبيل السفر . . . فقطعت عليه الحديث قائلة نعم ، قد ذكرت فهات حاجتك فاني لم أتعود أن انتظر تحيتك وعبثك كل هذا الوقت الطويل ؛ قال حاجتي يسيرة وهي ألا تلومي ربة الدار ، فقد مكرت بها واحتلت عليها ، وما زلت أخدعها عنك وعني حتى تركتني أطرق الباب وأدخل عليك في غير استئذان سابق . فأغرقت في الضحك حتى استلقت الى كرسيها وهي تقول : انها لحاجة عسيرة ، لست أدري كيف أقدر على ارضائها ، وقد أذنت لك فيما كنت تريد وطرقت الباب وفاجأتني بغير اذن سابق مني بذلك ، وفيم كان كل هذا المكر ، وفيم كان كل هذا الاحتيال ؟ ومتى استباح أمثالك أن يفجأوا أمثالي على هذا النحو ، وفي مثل هذا الوقت من النهار ؟ هنالك اشتد ارتباكه حتى بلغ الاضطراب أو كاد يبلغه ، فلم يكن يقدر انها ستلقاه هذا اللقاء ، ولا انها ستنكر هذه المفاجأة ، ولعله كان يظن بل كان يوقن أن سرورها بلقائه سيكون أشد من حاجتها الى الاستطلاع ، وسيكون أشد من انكارها لهذه الفجاءة ، فلما رأى منها هذا الالحاح في السؤال والتشدد في النكير ، فقد ما كان يملك من الاسباب ، واختلط عليه الأمر ، فلم يدر ماذا يصنع ، ولم يعرف كيف يقول . ولو أنه كان على شيء من البصر بصاحبته والعلم بدخيلة نفسها لرأى انه لم يكن مخطئا حين قدر انها ستبتهج بلقائه ، ولكنه كان شديد الذكاء قوي الفطنة واسع الحيلة ما بعد عن النساء وعن صاحبته هذه خاصة ، فاذا لقي واحدة منهن أو لقي صاحبته هذه فهو رجل ساذج أول الامر ، لاحظ له من ذكاء ولا من فطنة ، ولا قدرة له على ثبات أو فهم ، حتى اذا اتصل الحديث وتنوع استرد ملكاته قليلا حتى يعود كدأبه في الحياة العادية ، ذكي القلب قوي الفطنة متصرفا في الوان الحديث . فلما رأت ارتباكه واختلاط الأمر عليه واضطراب لسانه في فمه دون أن يبلغ الافصاح عما كان يريد ، رقت له واخرجته من حيرته باجابته الى ما كان يريد ، واعلانها اليه انها لن تلوم صاحبة الدار ، ولن تظهر لها سخطاً ولا انكارا . ثم قالت : والآن حدثني من أين أقبلت وكيف اراك هنا اليوم ، وقد تركتك في القاهرة منذ عشرة أيام ؟ أنجمت من الارض أم نزلت من السماء ؟ قال ان عشرة أيام تكفي لقطع الأمد من القاهرة الى الاسكندرية ولعبور البحر الى مرسيليا (وطولون) ولبلوغ مدينة نيس، حيث تقيمين قبل ان تستأنفي السفر الى تلك المدينة الصغيرة الجامعية من مدن فرنسا الوسطى لتسمعي دروس الصيف . قالت فاني لا أشك ان عشرة أيام تكفي لهذا كله ولا كثر من هذا كله ، ولكني تركتك في القاهرة غضبان أسفا لانك ستقضي الصيف حيث لم تكن تعودت أن تقضيه ، ولعلك تذكر انك كنت تحسدني وتسرف في الحسد على هذه الرحلة الجامعية التي كنت ازمعتها ، ولعلك تذكر انك مازلت تصور لي حزنك ويأسك حتى رحمتك وأشفقت عليك ، فكيف استطعت ان تفارق القاهرة وترحل عن مصر وتظفر بزيارة باريس ؟ فأنت ذاهب الى باريس من غير شك ، قال نعم انا ذاهب الى باريس ، وماذا تكون فرنسا بدون

باريس وبدون الحى اللاتينى ومونبارناس ومونمارتر ؟ وقد زعموا ان الحركة الأدبية والفنية قد اخذت تنتقل الآن من مونبارناس الى . . قالت حسبك قد علمت هذا كله وعرفت رأيك فيه ، وسنعود اليه ، ولكن كيف تركت القاهرة ؟ وكيف أتيت الى فرنسا ؟ قال وأى شيء أيسر من ذلك يا آنسة ؟ انما يستغرب هذا من رجل كانت تمسكه الازمة فى مصر ويعجزه أجر السفينة ، أو نفقات الأقامة فى فرنسا ، فهذا الرجل اذا أتيح له السفر بعد امتناعه عليه يمكن ان يسأل انى لك هذا فى مثل هذه الأيام الشداد ، فاما اذا كان الذى يحول بين الرجل وبين السفر ارادة وزير من الوزراء ، أو عناد رئيس من الرؤساء ، فما ايسر ان يريد الوزير وقد كان لا يريد ، وما أسهل ان يلين الرئيس وقد كان متأبيا عنيدا ، وهذه قصتى فمازلت برئيسى حتى رق لى ، ومازلت بوزيرى حتى عطف على ، قالت صنع الله للرئيس وللوزير معا ، فلو لا ظرف احدهما وعطف الآخر لما اتيح لك ان ترى باريس . قال بل لما اتيح لى ان أسعد بلقائك فى نيس ، وان اسعد باصطحابك ساعة أو ساعات على ساحل البحر ، هذا الساحل الجميل الهادىء القوى معا ، حيث نستطيع ان نرى البحر والجبل وقد دنا كلاهما من صاحبه فى مودة وألفة ، وحيث نستطيع ان نرى الطبيعة الحرة القوية والحضارة البديعة المترفة وهذه القصور الشاهقة تشرف على البحر وتشرف عليها الجبال ، وحيث نستطيع ان ننشد قصيدة بودلير ، هذه القصيدة الرائعة التى كنت تغنينها فى القاهرة أجمل غناء ، أتذكرين ؟

لقد عشت دهرا طويلا تحت أروقة واسعة تضيفها شمس البحر ، قالت نعم كل هذا اذكره ، وكل هذا أفهمه ، وكل هذا لا تفسير له الا انك قد رجعت الى صوابك واستردت قواك موفورة واستأنفت ما ... ب من العبث والمزاح . فقد آمنت انك سعيد بلقائى . وقد آمنت انك ستسعد ، وسأسعد معك بقضاء ساعة أو ساعات على هذا الساحل الجميل . وقد آمنت بأن رئيسك خليق بالشكر لأنه رق لك بعد ان قسا عليك ، وان وزيرك حرى بالثناء لأنه لطف بك بعد ان كان شديدا عنيدا ، ولكنى لن أتحدث اليك الآن ولن اسمع منك الحديث عن الجبل والبحر ، ولا عن الصخور والقصور ، فقد يتاح لنا الحديث عن هذا كله بعد حين . انما أحب ان أسمع منك أنباء مصر ، قال أنهما لخليقان بالشكر والثناء حقا ، ولا سيما حين تعلمين . . . قالت لا اريد ان أعلم شيئا . قال وهو يضحك ضحكا ملئه المكر والالحاح : بل يجب ان تعلمى لتضاعفى الشكر وتجزلى الثناء ، فانى لم ارحل للسياحة ولا للراحة ولا للرؤية باريس ، وانما رحلت . . . قالت لامر من أمور الدولة فستدرس شأنا من شؤون التعليم أو فنا من فنون النظام ، أو لونا من الوان الادارة ، أو شيئا من هذه الأشياء التى يرحل الموظفون لدرسها فى اوربا أثناء الصيف ، فيسرحون ويمرحون ويلهون ويلعبون ويكتبون فى آخر الصيف تقريرا يرفعونه الى الرئيس أو الوزير ، فيتلقى الوزير أو الرئيس هذا التقرير ويتلقى صاحبه كلمة شكر وثناء ، وقد فهم الرئيس عن صاحب التقرير ، وفهم صاحب التقرير عن الرئيس ما يريد كل منهما ان يفهم عن صاحبه ، وأؤكد لك انى أضاعف شكرى لصاحبيك وثنائى عليهما ؛ ولكن أرحنى من حديثهما كما ارحتنى من حديث البحر والجبل والساحل وعد بى الى مصر ، قال ما أشد شوقك الى مصر وتلهفك الى الحديث عنها ! ألم تشبعى من مصر وقد أقمت فيها سنة كاملة منذ رحلتك الأخيرة ؟ أمشوقة انت الى مصر ولما يمض على فراقك لها الا عشرة أيام ؟ قالت فانى لا أريد ان تحاسبنى على ما اجد أو لا أجد من الشوق الى مصر ، وعلى ما احس أو لا احس من الضيق بمصر ، وانما أريد ان تحدثنى عنها ، كيف تركتها ؟ وكيف تركت أهلها ؟ ثم مست هذا الزر الكهربائى الذى لا تخلو منه غرفة من غرف الفنادق ، فما أسرع ما أقبلت الخادمة فهمت أن تطلب اليها الشاى ، ولكنه اعترض دون ذلك وقال : ماذا تريدين أجننا حتى نتناول الشاى فى غرفة مغلقة والجو صحو والماء صفو والشمس توشك ان تنحدر الى مغربها فترسل على الجبل والبحر . . قالت حسبك فانى أستطيع أن أتم ما تريد أن تقول . قال واذن فهلم نتناول الشاى حيث نستطيع أن نستمتع بهذا الجمال الذى لا نجده فى مصر ، وكان حازما ملحا ، فلم تجد بدا من أن تسمع له وتستجيب لدعائه . فصرفت الخادم ونهضت فغابت عنه قليلا فى غرفة مجاورة متصلة بالغرفة التى كان فيها . ثم عادت اليه وقد اتخذت زيها المنظم المنسق الذى عرفه فى القاهرة ، فلما رآها اطمأن الى هذا الزى الذى كان يألفه ، ولعله أسف على ذلك الزى المهمل الذى كان أعجبه والذى كان قد أخذ يطمئن اليه . وما هى الا لحظات حتى كانا يسعيان معا فى هذه الطريق الجميلة على ساحل البحر تلك التى يسمونها فى نيس طريق الانجليز .

وكان طرفه حائرا بين البحر وهذه الفنادق الضخمة المشيدة ، وهؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون ويجيئون فى هذه الطريق وقد اتخذوا للرياضة والشاى زينتهما . لكنها لم تتح له الاستمتاع بهذه الحيرة ، فما أسرع ما ردته الى مصر وحديثها ، وعادت تسأله عن المصريين كيف تركهم . قال ولم يخف شيئا من الضجر الباسم العابث : تركتهم من خمسة أيام كما تركتهم انت منذ عشرة أيام ، وكما سيتركهم كل مسافر ويلقاهم كل عائد ، وكما يترك كل

« البقية على صفحة ٣٩ »

التجـديد فى الأدب

للاستاذ احمد أمين

٤

الشـــعر

من قديم حاول الأدباء والنقاد أن يضعوا تعريفا للشعر فاختلفت تعاريفهم لاختلاف أنظارهم ، ولأن كلمة الشعر استعملت فى معان مختلفة ، فكان كل أديب يعرفه حسب نظره ، وحسب المعنى الذى يرمى اليه ، وكان سواء فى ذلك أدباء العرب والفرنج

ذلك أن الشعر - على العموم - يتكون من عنصرين اساسيين وهما الوزن والقافيـة أولا ، وإثارة المشاعر ثانيا ، فاذا فقد الكلام عنصرا من هذين العنصرين لم يصح أن يسمى شعرا، غير أن بعض العلماء طغى عليه النظر الى عنصر الوزن فعرفه تعريفا أفقده روحه ، فقالوا أن «الشعر هو الكلام الموزون المقفى» ومثله قول بعض الفرنج «أى كلام موزون يسمى شعرا سواء أكان جيدا أم رديئا» وعلى هذا التعريف فالفية ابن مالك شعر، وقواعد الحساب المنظومة شعر، والمتون الفقهية المنظومة شعر - كما أن بعض العلماء طغى عليه النظر الى روح الشعر ومعناه فعرفوه تعريفا أفقده موسيقاه ، كالذى قال بعضهم «الشعر فيضان من شعور قوى نبع من عواطف تجمعت فى هدوء» ومثله قول رسكن: «الشعر ابراز العواطف النبيلة من طريق الخيال» وهو تعريف يصح أن يكون للأدب كله نثره وشعره بل للفن جميعه من أدب ونحت وتصوير وموسيقى

وابن خلدون نقد التعريف بأنه الكلام الموزون المقفى وقال انه ان صح تعريفا عند العروضيين لا يصح عند البلاغيين، ثم اختار أن يعرفه «بأنه الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله ، الجارى على أساليب مخصوصة» وعيب هذا التعريف أنه ممل وأنه لم يلتفت الى مزية الشعر وروحه وهو أثارة المشاعر، واستقلال كل جزء منه فى غرضه ومقصده ليس من العناصر الأساسية التى يصح أن تدخل فى التعريف

فلو قلنا ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى المنبعث عن عاطفة والمثير لعاطفة كان تعريفا أقرب الى الصواب

فأذا وجدت نوعا من الأدب يجمع الوزن والاتصال بالمشاعر فسمه شعرا والا فلا

والشعر يثير المشاعر بما فيه من خصائص - فأولا - بأوزانه وقوافيه، ولذلك كان المعنى الواحد اذا قيل مرة شعرا ومرة نثرا كان فى الشعر أقوى أثرا - وثانيا - بلغته ، فللشعر لغة غير لغة النثر، ولسنا نعنى بلغة الشعر الكلمات الغريبة أو أنواع البديع أو نحو ذلك ، فقد يكون الشعر فى منتهى الرقى وكلماته فى منتهى السهولة ، وهو كذلك خلو من كل أنواع البديع، أنما الذى نعنيه أن للشاعر ملكة لا يمكن أن نوضحها تمام الوضوح ، بها يستطيع أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث للمشاعر. وهو كذلك يضعها فى قوالب يتخيرها من القوالب العديدة والتراكيب اللغوية المختلفة، وهذا هو ما يجعل الشاعر شاعرا فقد يكون عندنا شعور فياض كالشعور الذى عند الشاعر أو أغزر منه ولكن ليس لنا هذه القدرة على الافصاح واختيار الألفاظ والقوالب والتراكيب - ومن ثم كان من المستحيل ترجمة الشعر الى شعر، لأن الترجمة لا ترينا ما للشاعر من قدرة فنية على أختيار الألفاظ والأساليب، والذى نترجمه هو المعنى الذى حواه الشعر وما فيه من تصوير وخيال، ويعد المترجم أمينا اذا هو أستطاع أن ينقل هذا ، أما طريقة الأداء فلا يمكن ترجمتها، نعم ان بعض الشعراء قد يقرأ القطعة من الشعر ويكون له قدرة فنية فيصوغ هو شعرا مستمدا من وحى ما قرأ، وقد يجرى مع الأول فى واد واحد وتكون له عذوبة ما للأول، ولكن ليس هذا ترجمة على الاطلاق

كذلك يثير الشاعر الشعور بما عنده من لطف النظر أو الالهام أو اللقانة أو ماشئت فسمه، فللشاعر روح غامض طبع عليه لا يكتسب بتعلم. به ينظر الى الأشياء نظراً خاصا ، وبه يبعث الشعور عند السامع. ولعل هذا هو الذى جعل شعراء العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً ينفث فيه الشعر . ولأمر ما خلط العرب فسموا النبى شاعراً أحياناً وكاهناً أحيانا (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)

وللشاعر نظر باطن للحياة يغوص فيها ويستخرج معانيها ويعرضها فى شعره - ولأن الشعر هو معنى الحياة كان شعر كل عصر مرآة له. وقديماً قالوا: (الشعر ديوان العرب) والحق أنه ديوان الأمم تسجل فيه حياتها وأفكارها ومشاعرها. فالشاعر يعطينا صورة روحية حية أكثر مما يعطينا إياها التاريخ. والشعراء عادة فى مقدمة قومهم شعوراً، وشعرهم إيذان بالفلسفة وإرهاص لها، فهم يلهمون الشيء إلهاما غامضا، ثم يتضح ما ألهموا به على مر الأزمان، وتأتى الفلسفة بعد فتشرح وتحلل وتدلل.

***

أما الوزن فى الشعر فهو موسيقاه، وله قيمة كبرى فى الشعر حتى عُد أهم فارق بينه وبين النثر، والشعر يحلو بالموسيقى الجيدة، ويضعف شأنه اذا ساءت موسيقاه. وارتباط الشعر بالموسيقى أشد من ارتباط الفنون الأخرى كالنقش والتصوير، حتى كان الرومان يقولون: «ان الشعراء ليسوا إلا مغنين يترنمون بشعرهم، ويغنون به لأنفسهم ولمن شاء أن يردده بعدهم»

ومن أنواع الشبه بين الموسيقى والشعر ما لاحظه بعضهم من أن كلا منهما يتنوع أنواعا متماثلة. فالصوت يختلف عن الصوت من نواح أربعة: (١) من ناحية الطول والقصر (٢) والغلظة والرقة (٣) والارتفاع والانخفاض (٤) ومن ناحية مصدر الصوت كعود أو قانون.

وهذه النواحى الأربعة يمكن أن نراعيها فى الشعر، فمن النوع الأول اختلاف التفاعيل طولا وقصراً، فالرجز أقصر فى التفاعيل من الطويل وهكذا. ولهذا الاختلاف تأثير كبير فى الأذن الموسيقية.

كذلك نرى فى الشعر ما يتناسب مع الشدة والضعف، والغلظة والرقة. فالشعر قد يناسبه — أحياناً — حروف وكلمات ضخمة قوية، وقد يناسبه حروف وكلمات لينة رخوة، كالذى قالوا فى قوله:

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب؟

فالشطر الاول قوى شديد والثانى رخو ناعم

وفى الشعر ما يناسبه الهدوء والدقة كشعر الغزل، ومنه ما يناسبه الشدة والبطش، ويناسبه أنشاده فى قوة وجلبة كشعر الحماسة ونلاحظ فى الموسيقى أن النغمة الواحدة اذا وقعت على الكمنجة ثم وقعت بعينها على البيانة كانت النغمتان مختلفتين تأثيرا، وهذا يقابله فى الشعر القافية، فالقصيدة على قافية قد يكون لها أثر لا يكون إذا قيلت على قافية أخرى وهكذا

والشعر أقل تقدما وأبطأ خطى من النثر، سواء فى ذلك اللغة العربية وغيرها من اللغات، وسبب ذلك على ما يظهر أن الشعر لغة العواطف، والنثر لغة العقل، والمشاعر والعواطف قليلة التغير بطيئة الرقى، وما حدث فيها من تغير فأكثره تغير فى الشكل لا فى الموضوع، أما العقل فراق أبدا، وثاب فى الرقى ومظهر ذلك الرقى العلمى الذى نحسه من سنة الى أخرى، ولأن الشعر تعبير شخصى وأعنى بذلك أن الشاعر يعرض علينا فى شعره مشاعره ونظراته الى الحياة واحساسه بها، أما الناثر فعالمى انسانى يعرض الشيء كما هو لا كما يرى، تحس فى الشعر دائماً بالشاعر يحدثك عن نفسه، وتحس فى النثر بعقل يخاطب عقلك، وان شعرت بالناثر فمن وراء حجاب، ومن أجل هذا خضع النثر للمنطق ولم يخضع له الشعر، ترى فى الشعر غالبا مبالغة لا يرضاها المنطق، وتناقضا لا يقره المنطق، وتحكما فى الحكم لا يؤيده المنطق، وتخبطا وهراء يغتفرها العقل فى الشعر ولا يغتفرها فى النثر - وهذه الظاهرة وهى سير النثر الى الامام فى سرعة وقفز، وسير الشعر فى بطء وتمهل، هى التى جعلتنا نتذوق الشعر العربى فى العصر العباسى وما بعده أكثر مما نتذوق النثر فى ذلك العصر، لأن الصلة بين نثرنا والنثر القديم صلة ضعيفة قد خالفناها كل المخالفة ولم يبق منها الا أساس التركيب الذى تقتضيه طبيعة اللغة، بل أن مسافة الخلف بين نثرنا والنثر من عشرين سنة بعيدة كل البعد، وعلى العكس من ذلك الشعر، فالفرق بين الشعر القديم والحديث قليل تافه ومع هذا - فالشعر يجب أن يخضع لسنة النشوء والارتقاء، ويجب أن يتقدم ويجارى الزمان كما حدث فى الشعر الغربى

يجب ان يتقدم الشعر فى كل من عنصريه عنصر الوزن وعنصر المعنى، ففى الوزن نرى ان العرب فى الجاهلية صبت شعرها فى ستة عشر بحرا، وكان خضوعها لهذه البحور لا لأنها حصرت كل ما يمكن أن يكون، ولكن ابتكروا أولا بحرا أو بحرين ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئا فشيئا لا يهديهم فى الابتكار الا الأذن الموسيقية: وهم لا عيب عليهم فى ذلك

ولكن العيب عيب من أتى بعدهم فقد سوا هذه البحور ولم يشاءوا ان يخرجوا عنها قيد شعرة، وقد تحكم العلماء والادباء فى اذواق الناس فابوا عليهم أن يقولوا فى غيرها أو ان يشذوا ولو قليلا عنها. وهو تقديس فى غير محله، لأن أوزان الشعر كما قلنا هى موسيقاه، وكما تطورت الموسيقى فى العصور واخترعت نغمات وولد من القديم نغمات جديدة، وكانت موسيقى العصر العباسى غير موسيقى العصر الاموى، وهما غير موسيقى الجاهلية، كان واجبا ان يغير الشعراء موسيقى الشعر ولا يقفوا عند الحد الذى رسمه الجاهليون، وعجيب أن نسمح فى عصرنا للموسيقى الشرقية أن تطعم بالموسيقى الغربية ونهيء آلاتنا للتوقيع عليها بهذه النغمات الجديدة، ونهيء آذاننا لسماعها ثم لا نفعل ذلك فى الشعر! نعم أخذ بعض الناس يتحللون من قيود البحور والقوافى الجاهلية كما فعل الأندلسيون بالموشحات وما اليها، ولكن وقف من بعدهم على اختراعهم ولم يسيروا على سننهم فى التقدم

يجب أن يتحرر نوابغ الشعراء من هذه القيود ويشعروا بما يحسون، ويوقعوا على النغمة التى يرتضون، وليس الحكم بيننا وبينهم هو البحور الستة عشر، ولكن الحكم هو الأذن الموسيقية، والأذن الموسيقية وحدها، وكما نرجع فى كل فن الى الخبيرين نستفتيهم ونحتكم اليهم، فكذلك فى هذا الضرب يجب أن نحتكم الى من رقت أذنهم الموسيقية وأذواقهم الفنية، وليس فى هذا ضير ما على ثروتنا القديمة فى الشعر، فأنا باختراعنا بحورا وأوزانا نزيد فى ثروتنا الى ثروتهم كما نزيد فى موسيقانا الى موسيقاهم وفى علمنا الى علمهم.

أما من حيث الموضوع ومعانى الشعر فمجال القول فيه أوسع، وتقصير الشعراء فيه أبين، ولئن كانت كل أمة تعد الشعر ديوانها تسجل فيه نزعاتها وآمالها وحياتها، فأنى أخشى أن يكون الشعر العربى سجلا ناقصا لم يدون فيه الا وقائع قليلة من نزعات كثيرة، وصفحات ضئيلة من حياة حافلة مركبة معقدة. لقد دون الشعر كثيرا من وقائع المديح والرثاء والغزل والخمريات وما اليها وهذا حسن، وهو ضرب من الشعر لا بد منه، ولكن ليس هذا كل مشاعرنا ولا أكثرها - لقد مررت فى هذا العام على تلاميذ مدارس ثانوية خارجين من لعب الكرة فسمعت بعضهم يصيح «يامحنى ديل العصفورة، ومدرستنا هى المنصورة» فجرت من عينى دمعة على ما نحن فيه من ضعة وانحطاط، وقلت أين الشعراء يضعون الأناشيد تجارى نفسية الطلبة، وترقى من مشاعرهم، وتزيد فى روحهم حماسة وقوة، وتميز الطبقة المتعلمة من طبقة العامة وأمثالهم؟ وأنى كشافة العراق ينشدون الأناشيد المختلفة فى المناسبات المختلفة، فلم يجد كشافة مصر ما يجيبونهم به ويساجلونهم فيه الا هراء من الكلام وسخفا من الغناء، ثم أين الشعراء يضعون أغانى للشعب وأغانى للمتعلمين تناسب حياتهم وموقفهم الاجتماعى؟ نعم تنبه بعض الشعراء لهذا ووضعوا أغانى أرقى مما وضع من قبلهم، ولكن أكثرها بكاء وحنين وذوبان، وهى من الأدب الذى سميته أدبا مائعا، والذى لا يصح لأمة ناهضة أن تقتصر عليه، بل أين شعراء الشرق الذين تغنوا بما حوته طبيعة بلادهم من جمال وأبداع فرقوا ذوق شعوبهم وأشعروهم بجمال الطبيعة، وغذوا عواطفهم وعودوهم تقدير الجمال والهيام به؟ لقد قصر شعراء العرب قديما وحديثا فى هذا الباب، فلا نعثر منه فى الأدب العربى الاعلى قليل، وهذا القليل لا يكفينا الآن ولا يسد رغباتنا، لان شعر الطبيعة قد رقى عند الأمم وأصبح مؤسسا على شيئين لا بد منهما، وهما علم بالطبيعة ومعرفة بقوانينها، وحب للطبيعة وهيام بها، ثم صياغة ذلك كله فى قول ساحر جذاب.

وهذا الضرب من الشعر قطع فيه المحدثون من الغربيين شوطا بعيدا وسبقوا فيه من قبلهم بمراحل طويلة - وبعد هذا كله - أين الشعر الاجتماعى العربى الذى يساير نزعات أمم الشرق ومطامعها وآمالها فى الحياة؟ أن أمم الشرق تنزع الى الحرية وتأمل أن تتبوأ فى العالم الأنسانى المكان اللائق بها، وتنشد ضروبا من الأصلاح الاجتماعى ترى الحاجة ماسة اليه، وكلها مجال فسيح للشعر يلهب حماستها ويقوى إيمانها ويهديها سبل الحياة. فأين الشعراء الذين وقفوا هذه المواقف وقادوها قيادة صالحة؟

ان عواطف الأمم الشرقية ساغبة تنتظر من يغذيها ولا تجده.

الحق أن أدباء النثر قد أدوا رسالتهم خيرا مما أداها أدباء الشعر، وفى كلٍّ من الفريقين تقصير ما؟

عمر بن عبـــد العزيز

٦٢ - ١٠١ هـ

للأستاذ عبـــد الحميد العبادى

ود الحكماء من قديم لو أن ملوك الأرض كانوا فلاسفة، أو لو أن الفلاسفة كانوا ملوكا؛ اذن لاقترنت السياسة بالأخلاق على أساس ثابت مطرد. وتعاونتا جميعا على النهوض بالمجتمع الأنسانى، ولاستحال عالمنا المضطرب جنة راضية ونعيما مقيما.

وكثيرا ما كتب الحكماء فى نظم عامة ابتدعتها أخيلتهم وزعموها توفر على الناس فى هذه الدنيا اللذة والسعادة، وتنفى عنهم الألم والشقاوة: فعل ذلك أفلاطون فى «الجمهورية» والفارابى فى «أهل المدينة الفاضلة» وتوماس مور فى «أوطوبيا» كما فعله كثير غير هؤلاء ممن ترسم آثار أفلاطون ونسج على منواله.

هذا الحلم الجميل تحقق أو كاد فى التاريخ مرة واحدة على ما نعلم، وذلك على عهد الخليفة العربى المسلم عمر بن عبد العزيز، فهو رجل القت اليه المقادير بزمام أعظم دولة فى الارض فى زمنه، ومع ذلك استطاع ان يقدع شهوته حتى كاد يميتها، وان يروض نفسه حتى ردها الى الرضا بالقليل الأقل. ثم تجرد لأصلاح رعيته من طريق العدل والرفق والرحمة، فأذاقهم لذة الأمن واليسر والرضا. وفوق هذا وذاك قد ترامت همته الى ما وراء قومه وبلاده، فطمع أن يجمع شعوب الارض طرا فى نظام واحد يقوم على مبادىء الأخوة والعدالة والمساواة. وقد وفق ابن عبد العزيز فى هذا المطمع البعيد توفيقا حدّ من مقداره يا للأسف، ان عجلت اليه المنية وهو لا يزال فى ميعة العمر وعنفوان الحياة.

***

قد اجتمع فى تكوين هذه الشخصية العجيبة عاملا الوراثة والبيئة معا، فأبوه عبد العزيز قد ولى مصر عشرين سنة دلت على ثقافته العالية واضطلاعه بأعباء الحكم، وبصره بتألف القلوب، وجده مروان بن الحكم هو ذلك السياسى الجرىء العارف بنفسية الأفراد والجماعات، والخبير بانتهاز الفرص عند أمكانها. وأما نسبه لأمه، فأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكفى بانتسابه الى تلك الشخصية العظيمة تعريفا بسبب من أسباب ورعه وجراءته فى الحق على نفسه وغيره.

وليس أثر البيئة فى تكوين ابن عبد العزيز بأقل من أثر الوراثة، فقد ولد بالمدينة عام ٦٢ هـ وشب بها على أصح الروايات. فلما ولى أبوه مصر عام ٦٥ هـ حمل اليه، ولبث بمصر زمنا ما، نعم فيه بصحبة أبيه ومشاهدة آثار الحضارة المصرية والبيزنطية، وهنا رحته دابة فشج شجته التى عرف من أجلها بأشج بنى أمية، فلما بلغ سن التأديب بعث به أبوه الى المدينة ليتأدب بها وينشأ نشأة أسلامية مدنية، وكانت المدينة اذ ذاك بيئة مركبة غير بسيطة، يعرف فيها من يحللها الروح الدينى الصحيح ماثلا فى نفر من بقايا الصحابة وكبار التابعين، أمثال أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، كما يعرف فيها الجانب الأرفه من الحياة ممثلا فى مثل عبدالله بن جعفر أول نصير لصناعة الغناء العربى، وطائفة من المغنين والقيان يتقدمها معبد ومالك بن أبى السمح المغنيان المدنيان الشهيران. ثم ان المدينة كانت اذ ذاك من الناحية السياسية موطنا للمعارضة التى تستند الى الكتاب والسنة فى مقاومة الحكومة الأموية. فى هذه البيئة تخرج ابن عبد العزيز، فروى الحديث عن حملته ورواته، ولقف صناعة الغناء وأعانه على المساهمة فيها صوت ندى عذب. كما أشرب روح الحكومة الأسلامية القديمة التى كانت تختلف عن الحكومة الأموية أختلافا كبيرا. الى ذلك كله كان ابن عبد العزيز فتى مليح الخلقة ناعما مترفا كعادة فتيان بنى أمية. يروى أنه أبطأ يوما عن الصلاة فسأله مؤدبه صالح بن كيسان عن سبب أبطائه فقال: «كانت مرجلتى تسكن شعرى» فكتب مؤدبه بذلك الى أبيه، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق شعره.

***

فى عام ٨٥ هـ توفى عبد العزيز بن مروان بمصر، وكان ابنه عمر قد تم تأدبه بالمدينة، فاجتذبه الخليفة عبدالملك بن مروان الى الشام وزوجه من ابنته فاطمة، ثم ولاه (خناصرة) وهى بليدة من أعمال حلب واغلة فى البادية. فلبث واليا عليها سنتين كانتا من أنعم سنى حياته وحياة زوجه. وقد أعجبته خناصرة حتى أنه عندما استخلف اتخذها منزلا على عادة ملوك بنى أمية فى أيثارهم سكنى البادية على الحاضرة. وفى عام ٨٧ اختاره الخليفة الوليد بن عبد الملك لولاية المدينة بدلا من هشام بن اسمعيل المخزومى الذى أساء السيرة فى أهلها، ولا شك ان الوليد انما اختار عمر للمدينة لما يعلم من المشاكلة القوية بينه وبين هذه الولاية، ثم أنه بعد قليل ضم اليه مكة والطائف

فأصبح عمر بذلك أميرا على الحجاز كله .

كانت حكومة عمر بن عبد العزيز بالحجاز (٨٧ - ٩٣) حكومة شورية أبوية يمازجها من ناحيته الشخصية مقدار غير قليل من الحرص على الترف والتنعم . فلأول قدومه المدينة أصطفى عشرة من العلماء أتخذهم نصحاء ومستشارين يصدر فى الأمور عن رأيهم ، ثم عكف على أصلاح شئون الحجاز فهدم المسجد النبوى وأعاد بناءه على نحو أوسع وأروع ، وأصلح الطرق ، وأكثر من الآبار ، فتيسر بذلك الماء فى ذلك القطر الظمىء ، كما أنه عمل بالمدينة فوارة يستقى منها أهلها . وقد أعجب الخليفة بتلك المنشآت عندما زار المدينة سنة ٩١هـ وأمر للفوارة بقوام يقومون عليها ، وان يسقى أهل المسجد منها ، ففعل عمر ذلك . ومن مظاهر بساطة عمر فى أمارته بالحجاز أنه جلس مرة فى المسجد يرتل القرآن بصوته العذب فتأذى بذلك سعيد ابن المسيب على غير علم منه بصاحب الصوت ، فلم ير عمر بأسا بأن ينتحى ناحية أخرى من المسجد . وبلغه ان قاضيه على المدينة استخفه الطرب عند ما سمع جارية تغنى حتى أخرجه من وقاره ، فعزله عمر ، ولكن القاضى المعزول تحدى الأمير لسماع الجارية ، فسمعها عمر وكاد هو أيضا يستخف ، فعذر القاضى ورده الى عمله . وعند ما قدم الفرزدق الشاعر المدينة وكانت السنة ممحلة وخاف أهل المدينة لسانه رفعوا أمرهم الى عمر فأخرجه من المدينة ونهاه ان يعرض لأحد من أهلها بمدح أو بهجو . أما من حيث حياة عمر الشخصية فى تلك الفترة فكان مترفا مسرفا فى الترف ، يرخى شعره ويسبل أزاره ، ويلبس الثوب تبلغ قيمته مئات الدنانير ، ويكثر من الطيب حتى لتقصف ريحه اذا مشى مشيته « العمرية » وهى مشية كان يتبختر فيها ويختال ، وللاحتها كانت الجوارى تأخذها عنه .

حادث واحد نغص على ابن عبد العزيز أمارته على الحجاز : ذلك مصرع خبيب بن عبد الله بن الزبير فقد نقم الخليفة الوليد من خبيب أشياء بلغته عنه وكتب الى عمر أن يضربه ، فضربه عمر ضربا كان فيه هلاكه . وقد جزع عمر لذلك جزعا شديدا ، ويقولون أنه لبس المسوح سبعين يوما حدادا على خبيب ، ثم أقلع عن ذلك . فلما استخلف دفع دية خبيب الى أوليائه ، ومع ذلك كان يرى أن الله لابد مؤاخذه بذلك الذنب ، فكان اذا بشره أحدهم بالجنة قال : « وكيف بخبيب ! »

وغدا الحجاز ينعم بأمن وعافية مما أبتليت به الأمصار الاخرى ولاسيما العراق من الفتن والقلاقل ، ولذلك أخذت فلول ثوار العراق والخوارج تفد على الحجاز فرارا من وجه الحجاج وسيفه المسلول ، فكان ابن عبد العزيز يجيرهم ويحميهم . ثم لم يكتف بذلك فكتب الى الخليفة يندد بعسف الحجاج وبطشه . فاضطغنها الحجاج عليه وكتب الى الخليفة يشكو من أن أمير المدينة يجير « مراق » العراق وان ذلك موهن له . وقد نظر الخليفة فى الأمر مليا ، ثم رأى ان يشد أزر الحجاج فى هذه الخصومة ، فالعراق أخطر من الحجاز ، والحجاج أولى بالمصانعة من عمر بن عبد العزيز . فصرف عمر عن الحجاز بأميرين أحدهما للمدينة والآخر لمكة . فكان أول ماصنعا أن أخرجا من الحجاز الى الحجاج كل عراقى فى الجوامع والأغلال ، وتوعدا كل حجازى أنزل عراقيا أو آجره دارا .

***

خرج ابن عبد العزيز من الحجاز الى الشام مغاضبا للخليفة الوليد ، وقد ساءه ان عزل عن أمارة المدينة حتى قال لمولاه مزاحم وهو ببعض الطريق : « أخشى أن أكون ممن تنفيه المدينة » أشارة الى الحديث الوارد فى ان المدينة تنفى خبثها . فلما حصل بالشام شغل نفسه بالغزو فرارا من وجه الوليد والتماس الأجر والسلوة . فلما توفى الوليد عام ٩٦ وولى سليمان بن عبد الملك لزمه عمر ، وكان أثيرا عنده يستشيره سليمان وينزل على رأيه فى كثير من الأمور ، على ان عمر نفعه أن عزل عن الأمارة على النحو المتقدم فقد دفعه ذلك فى السنوات الست التى قضاها بالشام قبل ان يستخلف (٩٣ - ٩٩) الى النظر فى حال الدولة العربية فى أواخر القرن الأول الهجرى

نظر فأذا الدولة الأسلامية قد أبعدت فى التخلى عن الصفة الدينية التى كانت لها قديما ، وأسرفت فى الاصطباغ بالصبغة الزمنية المتطرفة ، أليست حكومة عبد الملك والوليد والحجاج ويزيد بن المهلب حكومة تجبر وطغيان ؟ أليست حكومة سليمان حكومة الشهوة العطشى والجسد المنهوم ؟ لقد أصبح السلطان يعتمد فى شد أركانه وتقوية دعائمه على القوة الغشوم والسيف المرهف . أما العدل ، وأما الرفق ، وأما الرحمة . فلم يعد لكل ذلك عنده محل ولا حساب . ونظر فأذا أموال الدولة قد عراها الخلل والاضطراب من كل نواحيها . فنحو ثلث أموال الدولة قد استحال ملكا خاصا لبنى أمية ، واكثر الضرائب يجبى من غير وجوهه ، ويصرف فى غير مصارفه الشرعية . فكثير من الأراضى الخراجية التى لا يصح تملكها قد استحالت أرضا عشرية يتملكها أفراد من المسلمين يؤدون عنها الزكاة التى مقدارها أقل من مقدار الزكاة . وكثير من الموالى أو مسلمى الأعاجم لا يزالون مع أسلامهم يؤخذون بالجزية لغير ما سبب سوى أن العمال لحظوا فى أسلامهم معنى الفرار من الجزية فأبوا ان يعفوهم منها . هذا فوق ان هؤلاء الموالى لم يكونوا

والعرب سواء فى الحقوق ، فكانوا يغزون الى جانب العرب دون ان يكون لهم عطاء . ثم ان عدم أنفاق الزكاة فى مصارفها الشرعية قد أدى ألى كثرة الفقراء والمساكين والمرضى والزمنى ممن جعل لهم الشرع حقا فى الصدقات العامة . ثم نظر فرأى بأس الأمة الأسلامية بينها شديد ، قد توزعتها الفرق المتباغضة والأحزاب المتناحرة ، فمن شيعة يطوون الصدور على الاحن لما نالهم به بنو أمية من أذى ومساءة ، ومن خوارج يتحينون الفرص لهدم النظام القائم وأحلال نظامهم محله ، ومن موال قدساهم الا يسوى بينهم وبين العرب فى الحقوق العامة ، ومن مضرية ويمنية وربعية ، كل يحاول ان يكون له النفوذ السياسى من طريق الولاية على الأقاليم والتأثير فى السلطان نفسه . هذا فى الداخل ، أما فى الخارج فرأى عمر ان الجهاد الذى شرع على عهد النبى صلى الله عليه وسلم لمنع العدوان على النفس والعقيدة ، والذى كان على عهد الشيخين ضرورة اقتصادية ملحة ، قد استحال فى زمن الأمويين أداة للتوسع فى السلطان ، وجر المغنم الوافر ، والسبى الرائع ، حتى قال الشاعر :

الا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب

نظر عمر فى كل ذلك فرده الى سبب جوهرى واحد هو انحراف الجماعة الأسلامية عن الاساس الذى قامت عليه ، أساس الدين . والدين عند عمر هو الدين المتصل بالحياة العامة يمدها ويغذيها بقوته المعنوية ، والممسك لشئون الجماعة ان تضطرب وتصبح فوضى ، هو الدين الذى أثره فى الحاكم شعور قوى بالمسئولية وعمل صادق على أسعاد العباد والترفيه عنهم ، والذى أثره فى المحكومين اقتضاء للعدل اذا حرموه ؛ وأنفة من الضيم والذل اذا ما أريدوا عليهما ، الدين عند عمر بن عبد العزيز : هو الحق والأنسانية عبر عنهما بلفظ واحد .

و بينا عمر يرسل الفكر فى أنحاء الحياة الأسلامية العامة متعرفا عللها اذا به فى الوقت نفسه قد اخذ يخضع لتطور نفسانى عنيف . لقد اخذ حرصه على الترف والتنعم يضعف رويداً رويداً ، وميله الى الزهد والتنسك يقوى شيئا فشيئا ، واصبحت نظرته الى الحياة نظرة الى متاع قليل زائل ، لا يعدل شيئا بجانب طمأنينة النفس وراحة الضمير ، كما أصبح دائم التفكير فى الموت وفيما بعد الموت ، فالموت آت لا ريب فيه ؛ والموت برزخ مؤد اما الى جنة واما الى نار ، والمنتهى على كل حال رهين بما يكون عليه المرء فى العدوة الدنيا من ذلك البرزخ الرهيب .

ماسر هذا التطور العجيب الذى جعل من ابن عبد العزيز الناعم المترف ناسكا زاهداً متصوفا ؟ تتبين ذلك السر فى نفسية ابن عبد العزيز من جهة ؛ وفى مقدار تأثره بالحياة الاسلامية العامة لذلك العهد من جهة أخرى . لقد كان فى عمر نزوع طبعى الى الزهد ، فهو كما رأينا من سلالة عمر بن الخطاب ؛ وكان فى طفولته يحاول التشبه بخاله الزاهد عبد الله بن عمر ، ولما تورط فى أمر خبيب لبس المسوح سبعين يوما يأسا من غضارة العيش ، ولذاذة الحياة ، فلما نصح بالأقلاع عن ذلك أقلع . ثم ان الحياة الاسلامية قد ألمت بها فى أواخر القرن الأول نزعة زهد جاءت كرد فعل للمادية التى طغت عليها اذ ذاك . هذه النزعة التى تحولت بعد الى الحركة الصوفية المشهورة تتبينها فى طبقة العباد والنساك التى يتكلم عنها صاحب العقد الفريد طويلا . وقد خضع عمر لتأثير هذه الطبقة وهو فى المدينة ، فكان من أشد الناس تأثيرا فيه عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة . فلما صار بالشام خضع لتأثير رجلين يعتبران بحق من أقطاب عصرهما علما وزهداً وورعا . هذان هما الحسن البصرى ورجاء بن حيوة الكندى . أما الحسن فقد اتصل به عمر من طريق المراسلة ، ولعله قد اخذ عنه كراهية القول بالقدر الذى ينسب الى الحسن خطأ . وأما رجاء فقد كان مستشار سليمان بن عبد الملك ، وكان لذلك أقرب الى عمر وأقوى به اتصالا .

وبعد فلئن كان النظر فى الأحوال العامة قد انتج لعمر ضرورة الرجوع الى الدين فى اصلاح غيره ؛ فقد انتج له مزاجه الخاص وتأثره بالزهاد من أهل عصره ضرورة الزهد من اجل اصلاح النفس وتهذيبها . الدين والزهد ، هاتان هما الخلتان اللتان كانتا تعمران فؤاد عمر وقلبه عندما أخذ صلحاء الشام يرشحونه للخلافة . (يتبع)

الثقافة المصرية

وكيف تستفيد من ثقافة الجاحظ

الأدبية والعلمية والسيكولوجية

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف المحامى

دعونا فى مقال نشر بالسياسة الاسبوعية ألى الرجوع الى الثقافة العربية بدوية كانت أم حضرية ، وأهبنا بالمثقفين ثقافة عالية أن يصرفوا جهودهم ألى بعث تلك الثقافة ، وتغذية ثقافتنا المصرية بمادة مفيدة صالحة ، وذكرنا فى ذلك المقال أسماء بعض زعماء الثقافة العربية . ومن بينهم أبو عثمان بن بحر الجاحظ أحد أعلام العصر العباسى ومن أكبر زعماء الفكر الأسلامى .

وهانحن أولاء نعود ألى هذه الدعوة ، وتأييد تلك الفكرة ، بذكر شىء من ثقافة الجاحظ الواسعة ، تلك الثقافة التى يباهى بها العرب ويعجب لوفرتها الجيل الحاضر ، لأنها ثقافة تزيد فى الوفرة على ثقافة جوت الألمانى ، وديدرو الفرنسى ، ودستئوفسكى الروسى ، وغيرهم من ذوى الثقافات الواسعة الرفيعة .

والحق أنى بعد أن تصفحت جهرة من مؤلفات الجاحظ وما كتب عنها ، لم أجد وصفا أصدق عليها من أنهـا كالبحر اللجب الزاخر ، تحوى الجوهر كما تحوى الصدف ، فأنت أذا تناولت تلك المؤلفات ألفيت بحوثا شائقة فى الأدب ، وملاحظات قيمة فى العلم ، ومعلومات رائعة فى سيكولوجية الأنسان والحيوان ، وأفكارا كالأمواج متزاحمة متلاحمة تشرق عليها أنوار الثقافات الفارسية واليونانية والهندية .

هى ثقافة ثرة متعددة النواحى يتطلب تصويرها كتبا مفردة ، ولكنى سأحاول أن أتناول فى اختصار ثلاث شعب منها ، وهى ثقافة الجاحظ : الأدبية ، والعلمية ، والسيكولوجية . وا كتفى برسم خطوط لتلك الثقافات تاركا أخراج صورة كاملة لها لمن هم أقدر منى عليها ، وغايتى من المقال كما سبق أظهار روائع الثقافة العربية ، وبيان صلاحيتها لتغذية ثقافتنا المصرية ، أذ فيها خير مادة لنا وخير ثقافة .

ثقافة الجاحظ الادبية

ونحن أذا قلبنا البصر فيما صدر عن الجاحظ من المؤلفات الأدبية الفصيحة الكثيرة ، أدركنا قطعا نفع تلك المؤلفات لثقافتنا ، وصلاحيتها لتغذية ألهاماتنا . ويحتاج بحث هذه المؤلفات ألى كتاب مفصل . ولكنى سأقصر بحثى على وصف رسالة الجاحظ الموسومة « بالتربيع والتدوير » وهذه الرسالة اعتقد أنها تكفى لرسم صورة تامة عن أدب الجاحظ وأسلوبه الرصين المونق ، ومعانيه البليغة ، وميله ألى خلط الجد بالهزل فى كتاباته . وهذه الرسالة مدبجة فى احمد بن عبد الوهاب من معاصرى الجاحظ ومن ذوى النفوذ والمقربين لدى الخلفاء ، وهى تمثل فى أوضح بيان جمال الرصف ، والقدرة على ملكية العبارة . ومن المستحسن أن أصف هذه الرسالة وآتى بفقر منها : ابتدأ الجاحظ الرسالة بالقدح فى احمد والزراية بعقله ، وطرح عليه مائة سؤال منها الخفيف ومنها الثقيل ، ومنها الجدى ومنها المضحك ، حتى أذا ما آذاه وجرحه جرحا يكاد يقطر دما ، وأدرك فداحة ماصنع ، أسرع الى قلبه فمسحه من الدم ودهنه بالمرهم ليأسو الجرح ، ويداوى مابضع سنان القلم ، فأخذ يقدم وجه العذر ، ويدير اليراع بالمغفرة ، ويزكى صفات احمد ويطنب فى مدحه ويسرف ، فهاهوذا يسم احمد فى مفتتح الرسالة بالادعاء وينعته بالجهل يقول : — «كان احمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدعى أنه مفرط الطول ، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع ، وهو يدعى السباطة والرشاقة ، وكان كبير السن متقادم الميلاد ، وهو يدعى أنه معتدل الشباب حديث الميلاد . وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها ، وتكلفه للأبانة عنها على قدر غباوته فيها . . . . وكان قليل السماع غمرا . . . يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب » .

واستطرد يقول بعد كلام طويل فصيح : — «فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا ، وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله ، رأيت أن أكشف قناعه ، وأبدى صفحته للحاضر والبادى ، وسكان كل ثغر وكل مصر بأن أسأله عن مائة مسألة أهزأ به فيها وأعرف الناس مقدار جهله » .

وأخذ يلقى عليه الأسئلة فى خلال الرسالة ومنها قوله : — «خبرنى ماتقول فى الفراسة ؟ وماتقول فى أسرار الكف ؟ وماتقول فى النظر فى الأكتاف ! وخبرنى متى تستغنى الحية عن الغذاء ! ومتى ينتفع الضب بالنسيم ! وخبرنى ما السحر وما الطلسم وما الدنهش ! وما قولهم فى اللبان الذكر ! ؟ » .

وبعد أن سقاه سخراً وأشبعه تهكما وجعله ضحكة الضاحكين

وهزأة الساخرين، انبرى يشدو بذكره ويتغنى بمدحه، مما يجعلنا نعجب من الجاحظ ومن تناقضه الظاهر، ومن انقطاع الملابسة المنطقية بين هجوه الفارط المفرط، ومدحه اللاحق المفرط. استمع اليه يقول فى مدح أحمد: — « وهل على ظهر الأرض جميل حسيب، أو عالم أديب إلا وظلك أكبر من شخصه، وظنك أكثر من علمه، واسمك أفضل من معناه، وحلمك أثبت من نجواه، وصمتك أفضل من فحواه!» .. ثم تأخذه الأنفة وتغطيه العزة، فيتسامى على أحمد بالمعرفة ويتفاضل بالحكمة يقول: — فأنت والله يا أخى تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار انى أشد منك عقلا، وأظهر منك حزما، وألطف كيدا، وأكثر علما، وأوزن حلما، وأخف روحا، وأكرم عينا... وأنت رجل تشدو من العلم، وتنفق من الأخبار وتموه نفسك، وتعز من قدرك، وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب».... وأخيراً يحس الجاحظ شدة ما ساقه من الذم اليه فيعمد الى تلطيفه ببيانه الساحر الجذاب فيقول: — « فان أنت عاقبتنى، فقد رغبت عن النبل والبهاء، وعن السؤدد والسناء، وصرت كمن يشفى غيظا أو يداوى حقداً أو يظهر القدرة أو يحب أن يذكر بالصولة.

ويشفع هذا بكلام يتنفس الملق والدهان يقول: — «وأنى لك بالعقاب وأنت خير كلك، ومن أين اعتراك المنع، وأنت أنهجت الجود لأهله؟ وهل عندك الا مافى طبعك؟ وكيف لك بخلاف عادتك؟ »

وأكتفى بهذا الاقتباس الطويل، الذى تعمدت اطالته لاثارة القارىء لتلاوة هذه الرسالة برمتها، ليتذوق جمالها الفنى وحلاوة عباراتها وعذوبة مائها، وهذه الرسالة عندى لا تمثل الجمال الفنى للعبارة، بل انها تمثل جمال المعنى وبلاغته.

وللجاحظ رسائل أخر شائقة متقدمة فى الفصاحة متناهية فى الرصانة والسلاسة والجزالة، وهى آية قائمة على تفوق الرجل فى أدب المقال واحسانه فيه أقصى الاحسان. والمجال يطول بذكر شىء عن هذه الرسائل ونسرد أسماء بعضها ليدرك القارىء كيف تنبه الجاحظ منذ قرون لمعالجة موضوعات تهز العواطف والمشاعر والانفعالات. فرسالة البخلاء تحوى قصصاً غريبة عن بخلاء عصره وعاداتهم، ورسالة الحاسد والمحسود تهجن الحاسد وتذم انفعال الحسد. ورسالة « العشق والنساء » تصف عاطفة العشق وكيف يخنع لها الجبابرة وكيف خنع لها الحجاج الطاغية. وكتابه «المحاسن والأضداد» تناول فيه ذكر محاسن كثيرة من العواطف الفردية مثل عواطف الصدق، والعفو، والمودة، والوفاء، والشجاعة، والسخاء، وحب الوطن؛ ومدح فيه انفعال الغيرة وذمه فى صفحات معدودة، وهذا الكتاب لا تظهر فيه شخصية الجاحظ الخلاقة لأن مادته منقولة عن الأعراب. وعلى العموم فمؤلفات الجاحظ الأدبية بجملتها تفتق اللسان، وتقوى العارضة، وتمدنا بثروة واسعة من التعابير الجميلة، وتعطر أفئدتنا وتنعش صدورنا بمعانيها اللطيفة الفريدة. يقول المسعودي فى هذا الصدد: — « كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان... ويقول ابن العميد: « كتب الجاحظ تعلم العقل أولا، والأدب ثانيا.. »

ثقافة الجاحظ العلمية

ويعنى ابن العميد بهذا القول أن يقول أن كتب الجاحظ تعلم العلم أكثر من أنها تعلم الأدب، والواقع ان كتب الجاحظ الأدبية لا العلمية تتضمن ملاحظات بارعة، وأشارات دقيقة، ومعلومات قيمة، يمكن أن تبنى عليها بحوث علمية رائعة

حدثنى أحد المهتمين بالثقافة العربية أنه قرأ رسالة التفاح للجاحظ فى مكتبة بألمانيا، فوجد بها ملاحظات وتجاريب للجاحظ مدهشة منها ان الجاحظ كان يكتب بمادة كيماوية بعض الأسماء على التفاحة قبل نضجها. فتظهر الأسماء على التفاحة بعد النضج، وكأنها خلقت على هذه الصورة، وكأن الاسماء نقشت على التفاحة نقشاً طبيعياً، وذكر أن الجاحظ أبان فى هذه الرسالة كيف تتلون التفاحة فى الطبيعة: فالقمر يخلع عليها اللون الأصفر، والشمس تهبها اللون الأحمر. وهذه الحقائق لا أعلم مبلغ صدقها. ولكنى أثبتها بقصد الأثارة للبحث عن هذه الرسالة ونشرها. ولا شك فى أن رسائل الأدب لا تخلو من معلومات مفيدة للعلم، فما بالنا بالرسائل والكتب العلمية مثل كتب - النبات - والمعادن - والكيمياء - والطب - وغيرها التى لم نطلع عليها وا أسفاه الى الآن، والتى أفاد منها الغربيون واستقوا آراءهم، فقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية أن كازوينى · وداميرى اعتمدا فى بحوثهما العلمية على كتاب الحيوان والنبات للجاحظ، ونحن وان كنا قد عثرنا فى مطالعاتنا على طائفة من حقائقه العلمية، فأن هذه الحقائق تعتبر نقطة من محيط. وشعاعة من شمس، قد يهدف ذكرها فى هذا الموضع الى سوء التقدير، وغباوة الحكم، ولهذا فأنى اكتفى هنا بتوضيح مذهبه فى البحث، وطبعه العلمى، وحبه للتحقيق والتدقيق، فها هو ذا يقدم لأحد كتبه فى الحيوان بالتعوذ بالله من أن يدعوه شغفه باتمام كتب الحيوان الى أن يصل الصدق بالكذب، أو يدخل الباطل فى تضاعيف الحق. أو يتكثر بقول الزور، أو يتلمس تقوية ضعفه

باللفظ الحسن، وستر قبحه بالتأليف المونق، وهذه الأقوال لا تصدر الا من رجل وهب ضميرا علميا يزعه عن الأوهام، وينزهه عن ذكر المغالط، ويدعوه الى التثبت من العلة، وتنقية الثقة من الريبة، وتطهير الحجة من الشبهة.

وأنا لنراه فى كتبه ومؤلفاته يستند كثيرا الى التجربة، ويعتمد على الملاحظة، فاذا ما أعوزته التجربة، ولم تتيسر له الملاحظة، رجع الى ثقة من الثقات للمذاكرة والمناقشة، فأذا لم يجد الثقة الذى يعتمد عليه ويتذاكر اليه. ربأ به ضميره عن نقل المعارف نقلا مهما كان مصدرها. فهاهو ذا فى كتب الحيوان تناول ذكر كثير من الحيوان والطير والحشرات، ورجع الى ما كتب أرسطو فى الحيوان، وأخذ عنه بعض ما حققه بنفسه أو قامت التجربة على صدقه، ورفض أن يثبت فى كتبه معلومات غريبة عنه، فنراه مثلا لم يكتب شيئا عن «السمك» مع ان ارسطو أفاض وأشبع القول فى هذا الموضوع؛ ولكن الجاحظ أبى أن ينقل عن ارسطو شيئا فى هذا البحث؛ وعلة ذلك أنه لم تتوفر له الملاحظة عن السمك وعن طباعه وأحواله، وأنه سأل البحريين عن بعض الحقائق الواردة فى كتب ارسطو فلم يصل منهم على قول محقق؛ لهذا ترك هذا الباب كلية، ولم يكتب فيه حرفا.

وأنا لنتمنى أن نجد مثقفا مصريا أو شرقيا يخصص نفسه؛ وينفق عمره، فى التنقيب عن كتب الجاحظ العلمية فى مظان وجودها ومحال مكامنها. وينقلها الينا ليخدم بذلك الثقافة المصرية. لأن البحوث التى لدينا عن الجاحظ كلها موجزة مجملة؛ وكلها تركت الناحية العلميـة جانبا. فالسندوبى قصر بحثه الواسع على ـ أدب الجاحظ ـ وتركه عليه. واستقى مادته من جمهرة صالحة من الكتب الأدبية، والاستاذ خليل بك مردم كتب بحثا مجملا مفيدا عن الجاحظ وثقافته. والأستاذ أحمد أمين كتب فصلا بديعا موجزا عن الجاحظ، ومس الناحية العلمية مسا خفيفا. وليس من شك فى أننا فى حاجة الى من يدرس الجاحظ درسا واسعا من جميع نواحيه. واليوم الذى نجد هـذا الرجل هو اليوم الذى نقع فيه على ثقافة ممتعة. ونواح طريفة للتفكير العربى.

ثقافة الجاحظ السيكولوجيه

ومن النواحى الطريفة لثقافة الجاحظ الناحيـة النفسية أو السيكولوجية. وهذه الناحية ماثلة بجلاء فى طائفة من كتبه. وهى أشد ما تكون جلاء فى كتب الحيوان السبعة. فقد تناول فى هذه الكتب نفسيات الحيوان والطير والحشرات، وتحدث عن أخلاقها وطباعها وعاداتها، وضمنها معلومات عجابا وملاحظات دقاقا تشهد بسعة ثقافة الجاحظ، وبأنه أنفق عمرا طويلا فى معاشرة الطير ومؤالفة الحيوان، ومراقبة الحشرات، وانه هام من أجل ذلك فى الغياض وتوغل فى بطون الأودية، وركب البحار، وسكن الصحارى، ونبض قلبه مع النبات. واهتز اسحر الطبيعة: ففى كلامه عن الحيوان تحدث عن نبالة الكلب، وذكر انه يتخير انبل موضع فى المجلس، وتحدث عن القط وذكر أنه لئيم خؤون وشره شديد الشراهة. وفى الوقت نفسه يؤثر أولاده بالاكل على نفسه!

وتكلم عن الديك وأيثاره الدجاج على نفسه فى سن الشباب؛ فاذا هرم صار أنانيا لا يعرف الا نفسه. وتكلم عن الفيل وجرأة قلبه، وقوة عزمه، بينما هو يفزع من القط فزعاً شديدا! وتكلم عن اليربوع وسعة حيلتها، وأنها علمت الفرس والروم الاحتيال، واتخاذ المطامير على تدبير بيوتها. وأفاض فى ذكر عداوة الحيوان بعضه لبعض، فالأسد عدو للكلب يشتهى لحمه، والذئب يشتهى لحم الثعلب، والثعلب يصيد القنفذ وهكذا. وفى الفصول التى عقدها عن الطير أفاض فى ذكر الحمام والعصافير. فذكر ان العصافير لا تقيم فى الدار اذا خرج أهلها منها وأنها شديدة العطف والبر باولادها، وتحتمل الاخطار فى سبيل الذود عنها. وتحدث عن الحمام فذكر حبه للناس، وأنس الناس به، وانه لا يهجر الدار اذا هجرها أهلوها وأنه لا يغير... وفى الفصول التى عقدها عن الحشرات تكلم عن النحل وكمال غريزته، وعن خلق الخلية وما فيها من غرائب الحكم وعجائب التدبير، وكيف يتضافر النحل فى عمل الخلية. فمنه ما يقوم بجمع المادة من الشجر والزهر. ومنه ما يبنى البيت، ومنه ما يقوم لعمل الشمع. وتكلم عن العنكبوت وبداعة نسجه. وطريقته الحكيمة فى صنع مصيدة من خيوطه لايقاع الذباب وصيده. وتكلم عن عداوة القنفذ للحية، والحية للعصافير، والعصافير للجراد، والجراد لفراخ الزنابير، والزنابير للنحل. والنحل للذباب، والذباب للبعوض، وغير هذا من أجناس هذه المعلومات وأشباهها مما وعته صفحات كتب الحيوان، وقد ذكرنا وشلا منها، ولا ريب أن المشتغلين بعلم النفس يجـــدون فى هذه الكتب معلومات قيمة مفيدة. وبالأخص المهتمون بعلم النفس التجريبى الحديث الذى تدور بحوثه على درس الحيوان والحشرات. فجدير بنا أن نهتم بهذه الكتب التى سبقنا الغربيون الى تعرف خطرها وقدرها ونباهتها.

الخلاصة

ونخلص مما تقدم الى أن الجاحظ كان رجلا مثقفا بكل معنى

ذو الفـــأس

للآنســـة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

جان فرانسوا ميلين رسام فرنسى عاش فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وقضى أخريات حياته فى الريف على مقربة من غابة فونتيبلو حيث رسم لوحاته الريفية المشهورة . أشهر هذه اللوحات لوحة (الانجلوس) وهى تمثل فلاحة وفلاحاً سمعا صوت جرس الكنيسة فهما يصليان خاشعين . ومن أشهر لوحاته « ذو الفأس » وهى تصور فلاحاً متكئاً على فأسه وقد بلغ به التعب والبؤس أقصى درجات الألم . تلك الدرجة التى يشعر فيها الانسان أنه فقد حواسه .

جاء بعد الرسام ميلين ، الشاعر الامريكى أدوين مركهام فنظم قصيدة أوحاها اليه هذا الفلاح المتكىء على فأسه . ولقد أذاعت هذه القصيدة صيت الشاعر حتى أصبح يعرف باسم مؤلف ذى الفأس .

وهذه قصيدة أوحتها إلى قصيدة الشاعر مركهام والرسام ميلين . ولقد راعيت فيها خاصتين من خواص الشعر العربى : وهما الوزن ، وتمام المعنى فى البيت الواحد ، وأهملت الخاصة الثالثة وهى القافية . وأشعر تماماً أن اهمال القافية لايحس به مادام المعنى كاملا فى البيت الواحد ، فهل يشعر القارىء بمثل ما أشعر ؟

ذو الفـــاس

متكئاً َع الفـــأس فى انكسار
منحنىَ الظهر من الهموم
ينظر فى الأرض بلا انتهاء
فليس إلا نحوها المصـــير .

قد أوهنت عظامه السنين
وغضّنت جبينـــه العصـــور
وقسوة المسعى وراء العيش
قد أفقدته جزءه الانسانى .

من أطفأ الشعـــلة من حياته ؟
من رده وثوره ســـواء ؟
لا يعرف اليأس ولا الرجاء
لا يعرف الآمال والأحـــلاما .

ما المجـــد عنده وما الجمال ؟
ما الجاه ؟ ما السمو ؟ ما الخلود ؟
ما أبعـــد الهوة بين هـــذا
وبين حـــلم العالم المنشود !

أذاك من قد أبدع الرحمن ؟
أذاك من قد كوّن العظيم ؟
أذاك من قد خصـــه الجبار
بالعقل والعرفان والسلطان ؟

يا سادة العبيـــد والأراضى
هذا الذى قد صنعت أيديكم !
هـــذا الذى قدمتم لقـاء الـ
غفران والرحمة من باريكم !

يا سادة العبيـــد والأراضى
كيف لقاء الرب يوم الدين ؟
يوم مثوله أمام الله
بعد سكون الساع والسنين !

سهير القلماوى

الكلمة . ولأقصى درجة من درجات الثقافة العالية ، فقد وعى أدبه ثروة وجمالا وملاحة ، وحوى علمه براعة الملاحظة . وصدق التجربة وتغلغلت نفسه فى أعماق نفوس البشر ونفوس الحيوان . وسلك مذهب الحرية فى الدين فاحب جمال الدين وشعر العقيدة . ولم يتحرج من اعتناق مذهب المعتزلة برغم مخالفته للرأى السائد .

وقصارى القول أن الجاحظ أديب العلماء وعالم الأدباء غير مدافع ؛ وفيلسوف عملى لامذهبى وعالم يكثر الملاحظة والتفكير . وملاحظاته أغزر من تفكيره . فجدير بنا بعد هذا أن نتذوق ثقافته فنتذوق روح الحياة . وننشق عطر البحث ، ونستمتع بجمال الأسلوب ولذة المعرفة .

ميت غمر — مصطفى عبد اللطيف المحامى

في الادب المصرى القديم

فنون الشعر الفرعونى

القصائد — القافية — الاوزان — البديع — الجناس

للأستاذ حسن صبحى
مؤلف قصص البردى

يحفظ التاريخ للمصريين القدماء سبق الابتكار فى كل ناحية من نواحى المدنية. فنراه يسجل لهم أولوية الصناعة، كما ينعتهم بالزراع الاول، ثم يقص علينا من أنباء بعثاتهم التجارية الى النوبة والى الشام والى العراق مامكن لذوى المطامع منهم أن يستبسلوا فى الأغارة على هذه البلاد بين حين وحين، وهم اذ ينتصرون يملكون الارض ومن عليها فينشرون من أسباب المدنية بين أهل هذه البلاد ما بقى أثره الى اليوم فيها، سواء كان فى أساليب الزراعة أو فى طرائق الصناعة أوطرق التجارة، أو كان فى اللغة والنحت والتصوير، أو الموسيقى والرقص والشعر، مما بقى أثره لهذا الوقت الحاضر، فى روح كل فن أو مهنة أو صناعة تمت للعصر القديم فى أى من هذه الاقطار بصلة.

وكما كان المصريون فى كل فن الأول، فقد كانوا أيضاً الشعراء الاول لهذا العالم، رأوا وأحبوا مايحيط بهم من جمال الطبيعة الهادئة، ومناظرها المتكررة الساكنة، فنظموا الشعر وقصّدوه فى وصف النيل ومجراه، وفى مطلع الشمس ومغربها، وفى فضية القمر وشحوبه، وفى خضرة الحقل ووحشة القفار. ثم عاشوا بين أسباب المدنية التى أقاموها فوجد الحب والبغض والحسد والشكر، وقامت الحروب وأقيمت الصلوات، وأحسوا كل هذه الصور فى الحياة فقالوا الغزل والحمد، وهجوا واستعدوا، وأشادوا واستنهضوا، وكان لابد لقول هذه الصور المختلفة من الحياة من قوالب تصاغ فيها، فخلقت القوالب وكانت القصائد والقوافى والاوزان والسجع، وتطور افتنانهم ورقى فدخلته التباديل، ولعب فيه الجناس اللفظى، اليست هذه كلها أحدث فنون الشعر العصرى ؟

القصائد المصرية

مذ خلق المصريون القدماء لانفسهم الكتابة الهيروغليفية، وهم يكتبون الشعر فى صورة غير صورة النثر. يكتبونه مقطوعات مشطرة ثلاثية أو رباعية الشطرات، متقاربة الطول، مرتبطة المعنى، تستقل كل مقطوعة منها بمناسبة، تميز المقطوعة من غيرها، حتى فى أقدم صور الشعر، قبل أن يفطن المصريون الى ضرورة فصل الشطرات عن بعضها بنقط حمراء فى كتابته للدلالة على الوقف.

وانك لتجد فى القصيدة التالية مايعطيك صورة حقيقية لاقدم اشكال الشعر المصرى، وهى منقولة عن الاصل الهيروغليفى:

«أنت تبحر فى سفينك العطرى الخشب
يملأه الرجال من المقدمة الى السكان
فتصل الى مضيفتك العامرة هذه
التى ابتنيتها لنفسك»

....

«يملأ فمك النبيذ والخمير
والخبز واللحم والفطير
وتذبح الثيران وتفتح الادنان
وتنشد الاغانى كلها أمامك»

....

«يضمخك كبير معطريك بالدهون الزكية
ويحمل اليك الاكاليل سقاتك
ويقدم اليك الطيور ناظر فلاحيك
كما يقدم اليك السمك صيادك»

القوافى

وليس التشطير والمقطوعات وحدها هى ماتدل على شعرية النظم المصرى، وتميزه من النثر، لكن القوافى أيضا تدل عليه وتميزه. ولو أنها من نوع غير الذى نعرفه فى شعرنا الحاضر فى أية لغة من اللغات. فقد كانت قوافى الشعر المصرى قوافى استفتاح، يستهل بها الشاعر ابيات قصيدته، ويكررها فى مستهل كل مقطوعة، كما ترى فى القصيدة التالية المنقولة عن الهيروغليفية، والمعروفة بقصيدة (جدل المتعب من حياته مع روحه):

شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من رائحة الدود
فى ايام الحر حين تكون السماء ساخنة
شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من صيد السمك
فى يوم الصيد حين تكون السماء ساخنة
شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من رائحة الطير
أكثر من مستنقع فيه أوز

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التى تبدأ دائماً : (شوف كم هو بغيض اسمى) ، وأنا اذ أعرب اللفظ المصرى القديم الى اللفظ الحديث الدارج (شوف) انما أريد أن أعطى القارىء فكرة صحيحة عن معنى اللفظ الاصلى الذى يراد به أكثر من الرؤية بالعين ، ومقصود به أن يلفت نظر القارىء او السامع فى تعجب لمبلغ التشبيه من نفسه ، ووقعه فيها . مما تحمله كلمة (شوف) الدارجة التى نستعملها فى حديثنا الآن عند ما نريد لفت النظر والحس الى التعجب من أمر نهتم له .

الأوزان الشعرية

من النقائص الكبيرة فى دراستنا للغة المصريين القدماء ، عدم معرفتنا معرفة أكيدة لنطق الفاظها كما كانوا ينطقونها . وكل ما استطعنا أن نصل اليه فى هذا هو النطق الذى احتفظت به اللغة القبطية لالفاظها وهى تأخذها من المصرية فتكتبها بحروف اغريقية ، وتخضعها حتما لاختلافات كثيرة متباينة ، يرجع بعضها لاختلاف نطق اللهجات المصرية بين صعيدى وبحيرى وفيومى وأخميمى ، والبعض لاختلاف نطق حروف الكتابة الاغريقية عن المصرية ، والآخر لتدخل كثير من الكلمات الاجنبية فى المصرية ، وأخيرا لاضطرار الاقباط الى نحت كثير من الالفاظ الجديدة مما يتفق مع تطور العمران وازدياد مقتضيات الحياة ، واتساع أسبابها .

لهذا كله نعتمد فى أوزان الشعر على ما لدينا من الشعر المصرى المتأخر ، الذى كتب فى عهد المسيحية ، وبقى لنا باللغة القبطية يعطينا صورة هى أقرب الصور الى الاصل القديم من غيرها .

والثابت الآن من قواعد النحو والصرف فى اللغة المصرية القديمة التى أصبحت راجحة التفسير فى العصر الحاضر ، ان كل كلمة ذات معنى فى اللغة اسما كانت أو فعلا أو صفة — لم تكن تحتوى الا على حرف متحرك واحد شديد الحركة ، واذن فكل شطرة من شطرات الشعر المصرى تحتوى على وقفتين أو ثلاث او أربع ، هى مواقع الحروف المتحركة الشديدة الحركة ، بينها وهدات متفاوتة الطول والقصر ، تكون الميزان الشعرى للشطر ، وتكون بهذا الوصف ميزانا شعريا مطلقا لم تصل بعد الى ربط صنوفه وتبويبها

واليك مقطوعة من الشعر المصرى المتأخر بنصها القبطى مشار تحت مواضع الحركة الشديدة فى شطراتها بخطوط قصيرة ، والى جانبها تعريبها ولم أجد خيراً منها مثلا لبيان أوزان الشعر المصرى :

النص المصرى (بالقبطية)	التعريب
أرشان إرأومى بوك إبشمو	رجل آخر يذهب للخارج
تفراورومى شاف اكتوف أبف إى	يدور سنة ثم يعود الى بيته
أـ أرخيليتس بوك إتانزيف	لكن أرحيليتس ذهب للمدرسة
اس اوميشى إنهوا ابينا وأبف هو	فكم هى الأيام حتى انظر الى وجهه

البديع

والشعر المصرى يفيض بالبيان والبديع ، وهو فى كل أطواره وعهوده يدل على أن الشاعر المصرى لم يكن يكتفى بالسطر الواحد فى المقطوعة ليدل على معنى يريد أن يصوره فى صورة بارزة جميلة ، فاكسب بتلك الفصاحة لغته ثوبا أنيقا رقيقا ، صور دقة احساسه بما كان يبديه من العبارات المتشابهة المعنى المختلفة الالفاظ البديعة الاختيار ، التى يقتضى تخيرها نعومة فى الذوق ، وعلوا لا يتفق لكل الناس . فهو يقول حين يتحدث عن « تحوت »

« يستيقظ القاضى ـ يظهر تحوت »

والقاضى هو تحوت إله الحكمة ثم يقول عن الملك .

« وعندئذ تكلم اصحاب الملك
واجابوا أمام ربهم »

«البقية على صفحة ٢٤»

نهضة الشعر العربى

وموسم الشعر

رسالة من الدكتور أحمد زكى أبو شادى

سيدى محرر « الرسالة »

اسمح لى أن أشكر لكم عنايتكم بخدمة الشعر العربى . ولقد أتيح لى الاطلاع على فاتحة العدد الاخير من « الرسالة » إذ أشرتم الى حالة الشعر العربى بعد شوقى وحافظ ثم تكلمتم عن فكرة موسم الشعر ، وإنى حبًّا فى الانصاف الأدبى وفى خدمة الحقيقة التاريخية أستأذنكم فى التعليق على فاتحتكم بهذه السطور القليلة .

(١) لقد أصبتم فى اشارتكم الى ضياع شعر المناسبات بعد شوقى وحافظ . وأما الشعر الفنِّى الأصيل المتسامى بالنفس الانسانية فقد ازداد تألُّقه ، وإنَّ الشعب الذى تُصقَل عواطفه بمثل هذا الشعر والذى يتَّجه به الى مثل أعلى لن يكون الخاسر بفقدان شعر الحماسة الجوفاء والوطنية العمياء وأمداح المواسم المعهودة . . . . إنَّ أحسن ما فى شوقى وحافظ حىٌّ دائم ، تضاف اليه الآن جهود الشباب الشاعر المثقَّف المتوثِّب . وقد أصبتم بقولكم : (إن الزمن الذى يمحص الأشياء فينفى البهرج الزائف ، ويثبت الحق الصريح ، هو الذى يعرف مكان هذه الجهود ، من عالم الفناء أو من عالم الخلود)

(٢) بدأ نشاط (جمعية أپولو) منذ تكوينها فى حياة كل من شوقى وحافظ ، وبرنامجها هو هو لم يتبدل . وقد كان ولا يزال من المبادىء الأصلية للجمعية أن الشعر العربى لم يَغنم فنِّياً من استخدامه فى المناسبات السياسية وغيرها استخداماً لا ضوابط له . ويرجع للجمعية الفضل فى وقف ابتذال الشعر فى الصحف ، والقضاء على جعله مادة للتكسب الوضيع ، وفى الارتفاع بتعريف الشعر والتسامى بغاياته ، مع العمل على ابراز المجهول من الشعر العصرى الجيد وإظهار الشعراء القادرين الخاملين وماهم بالقليلين .

(٣) ستصلكم هذه الكلمة وعدد (أپولو) المخصص لذكرى المرحوم حافظ . ومن دراستكم له وللعدد الذى خصَّصناه من قبل لذكرى المرحوم شوقى ستقتنعون أننا لسنا من يجحد جمال القديم ، فللفن جماله كيفما كانت صبغتُه ونزعتُه ، وفى الوقت عينه لسنا من يتجاهل روح العصر والتطوُّر الذى بلغته الفنون الجميلة جميعها اتجاهاً وتعبيراً ، ونحن جدُّ حريصين على أن ينال الشعر العربى نصيبه من كل هذا ، واثقين من حيويَّتنا الشاعرة الفسيحة الأفق .

(٤) إن الروح العالمية التى دعتنا الى اختيار اسم (أپولو) لجمعيتنا ولمجلتنا هى نفس الروح التى نصَّتْ فى دستور جمعيتنا على إقامة مهرجان سنوى ، وعلى تمثيل العالم العربى . ففكرة إقامة موسم سنوى للشعر هى فكرة أصلية لجمعيتنا ، وغير صحيح نسبتها الى أى هيئة أو فرد آخر ، ولم يدر بخلد صديقنا الهراوى سوى استغلال الموسم النبوى للشعر الدينى ، ويرجع لأعضاء جمعيتنا الذين لبُّوا الدعوة الى اجتماعه الأول الفضل فى التخلى عن هذه الفكرة والدعوة الى إقامة موسم سنوى للشعر الخالص ، وكل هذا ثابت لا شك فيه .

(٥) لم تغضب جمعية (أپولو) إلا عندما رأت استغلال مبادئها وبرنامجها بأسماء أخرى ، واقتران ذلك بدعايات ضدها . فان صديقنا الهراوى وصحبه من المحافظين ما كتموا يوماً خصومتهم لجمعية أپولو ، فقد كانوا وما يزالون وسيبقون دائماً خصوماً لها ، لأن الجمعية ذات روح تعاونية قوية وتأبى إباءً فكرة الامارات والوزارات الشعرية وعبادة الأفراد ، وتعمل بالروح التى أطراها شوقى فى قوله :

لعلَّ مواهباً خفيتْ وضاعتْ   تُذَاعُ على يديك وتُستْغَلْ

بينما أصدقاؤنا الأعزاء يحلمون دائماً بالمجد الشخصى على غير ابتكار رائع يؤهلهم الى شىء من هذا الحلم .

كذلك يرجع الى (جمعية أپولو) الفضل فى تقدير رعاية وزارة المعارف وفى ضم الصفوف وترك الحزبية والمعاونة على تكوين (جماعة موسم الشعر) التى نالت (جمعية أپولو) أغلبية الكراسِّى فى ادارتها ، وبعد الاعتراف بمنزلة وجهود (جمعية أپولو) ودعوتها الى مناصرة موسم الشعر بكل قواها لم يَبقَ هناك خلاف فى هذه المسألة ، وإن بقيت الذكرى واليقين بأن هذا لن يكون آخر خلاف بيننا وبين اخواننا المحافظين ، وأنهم لن يتورعوا عن استغلال آراء الجمعية فى أى وقت مع الطعن فيها .

وتفضلوا بقبول اعجابى وولائى ؟

تجديد التقليد

« بهذا العنوان نشرت مجلة المغرب التى تصدر بالرباط هذا المقال فأحببنا أن يطلع أدباؤنا عليه »

فى مصر اليوم جماعة من حاملى الأقلام بلغ بها حب التجديد الى حد أنها رأت التقليد الذى يرسف فى اغلاله كتاب العربية وشعرائها قد بلى وقدم، وأنه فى حاجة ماسة الى التجديد فراحت تسود أوراق الصحف والمجلات بالنهى عن تقليد العرب، وأسلوب العرب، وتفكير العرب، وكل ماهو من العرب باختصار ...لا لتضع فى محله شيئا جديداً مبتكراً، ولكن لتحاكى الغرب، وأسلوب الغرب، وتفكير الغرب! وكل ما جاء عن الغرب وان لم تسعر بذلك، أليس هذا تجديداً... للتقليد؟ أوليست هى جماعة المجددين؟ وعدم فهمكم لها جعلكم ترمونها بعدم القدرة على التفكير بالعربية وأساليبها الضادية؛ وكيف تكون غير قادرة على هذا وهى التى تعلمت فى أوروبا وقضت شهوراً وأعواماً فى « حى مونبارناس » والحى « اللاتينى » ... وهلم جرا. لا. ليس هذا (عجزاً يتظاهر بالقدرة، وجهلا يتستر بالتحذلق) كما زعم الزيات، بل سيل التجديد طغى حتى على التقليد وأراد تجديده.

أتدرى ماذا تنكر هذه الجماعة على العربية؟ تنكر عليها أنها خالية من القصة والرواية، ومن « التراجديا والكوميديا والميتولوجيا » وأن أدبها ليس منقسما مثل الأدب الغربى الى « كلاسيكى ورومانتيكى » وأن شعرها ليس منقسما الى « أبيك وليريك » وأن جن شعرائها لم يتأله، ولم يتخذ « ابولو » : ذلك الاسم العالمى اسما له، وأن التاريخ العربى الاسلامى ليس منقسما كالتاريخ الغربى الى : « العاديات والقرون الوسطى وعصر النهضة والعصر الحديث والعصر الحاضر »

وصفوة القول أن ذنب العربية هو عدم مجيئها على النمط الغربى، وقد تكون جديرة بأن تقلدها جماعة المجددين المصريين لو أنها احتوت على مثل تلك الأقسام، وأخشى مع هذا أن لوكان مثل ذلك للعربية دون الغرب لألفته قديما بالياً، ويكون مع ذلك الحق معها؛ لأنها ليست جماعة المبتكرين بل جماعة المجددين، وكل مايهمها هو التجديد لا الابتكار. ولو كان يهمها هذا لأخرجت لنا عوض هذا التقليد المشوه والصخب الفارغ والكلام الأجوف، انتاجا فكريا صحيحاً، ولست أنكر أنها جاءتنا « بمعجزات » فنية جديدة كل مافيها غربى إلا بعض الفاظ وحروف عربية.

وهنا ضرب الكاتب المثل برسالة الاستاذ توفيق الحكيم إلى الدكتور طه حسين، ثم لخص بعض رأى الاستاذ، وعقب عليه بقوله : هذا رأى الكاتب، أما رأيى أنا فهو أن مصر القديمة لو لا تلقحها بعناصر أجنبية لما كان لها ادب أو فكر؛ والتاريخ بالباب وهو أصدق مرشد وأعظم برهان، فلولا الأغريق لما كانت مدرسة الاسكندرية الفلسفية، ولولا العرب لما كان لمصر أدب أو فكر حديث يذكر، ولا ذكرت مصر فى تاريخ العالم إلا بفنها وهندستها الدينية؛ والحقيقة أن تلك الجماعة انما تريد ابدال المقلد : ابدال العرب بالغرب؛ وقد بلغ تطرف صاحب مقال «الرسالة» الى حد أنه رمى الكاتب الوحيد الذى ابتكر جديداً فى العربية ولم يحاك أحداً بالتقليد. وكتاب المويلحى « حديث عيسى بن هشام » لايزال قريب العهد، وما يعنينى الاسلوب اذا كان الكتاب غريبا مبتكراً؟ ولم تنتج مصر بعده جديداً سوى «الأيام» لطه حسين.

ومنذ سنوات كانت جماعة المجددين المصريين تبرق وترعد بمحاسن المدنية الغربية وأفضليتها وسوء الحضارة الشرقية. ولما أراد الله رفع الستار عن مساوىء الاولى وظهر افلاسها بعد الحرب فبرز كتاب أوربيون عظام للتنديد بها وتفضيل الحضارة الشرقية فى عدة نواح وخصوصاً الروحية منها، أخذت هذه الجماعة نفسها تمجدها تقليداً لهؤلاء لاعن عقيدة، وهذا حد التقليد!

انى لا أنكر على هؤلاء الكتاب حملتهم على التقليد وانما انكر عليهم أولا سعيهم فى ابدال المقلد بدون كبير فائدة، وثانيا انهم بدلا من أن يشتغلوا فى ابتكار جديد والعمل على الانتاج الصحيح يضيعون وقتهم فى الصخب. أما خالق أدب مصرى قومى فهو « مودة » بالية قديمة بالنسبة لمن يتخذ لقب مجدد؛ على أن الادب الجميل جميل فى كل محل وتحت كل شمس وقمر و «الف ليلة وليلة » حجة لذلك.

وأما أن يكون عدم وجود الرواية والقصة سبب فقر أدبنا العربى فهذا غلط، فلربما جاء فكر عربى عند نضوجه بشىء أفضل من القصة والرواية، شىء يلائم طباعنا وأدبنا؛ وان كان لا بد منهما فسيجيئان فى وقتهما حسبما تنضج وتختمر الفكرة فى عقول أبناء العربية، ولا يكفى قولنا لهما كونا فيكونان، لان النبوغ يتدفق من تلقاء نفسه ولا يستخرج، وكذلك تقسيم الأدب العربى على النمط الغربى؛ وله تقسيمه الذى لايحتاج الا الى اصلاح وضبط. ويكفى مثلا لفساد تطبيق أقسام التاريخ الأوربى على التاريخ العربى الاسلامى، أنى كنت أقرأ أخيرا كتابا عن تاريخ الأسلام والعرب لكاتب مجدد جرى فيه على الأسلوب الغربى فى التقسيم، جاء فيه : « ... وقد كان آباؤنا يتخبطون فى بحر الجهل والتعصب طيلة القرون الوسطى ... » والكل يعلم أن القرون الوسطى فى التاريخ العربى هى أزهى عصر المدنية الاسلامية العربية.

وأرجو لمصر أن تخرج من هذا المخاض بخير وعافية بفضل مابقى صالحا سالماً من أبنائها الكرام، وأن يسفر هذا المخاض عن انتاج صحيح مبتكر؛ وألا تكتفى جماعة المجددين بابدال المقلد فحسب.

محمد حصار

العبـــقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الحوماني

أمامك ماتحسه فى الطبيعة كائنا ومكيناً من عظمة (١) وقفت عقولنا دون حدها أو تصورها ، فكنا أمامها ولا نزال حائرين لا الى الرشد كل الرشد فنتبين مصدرها ، ولا الى الجهل كل الجهل فنصدف عنها بطبعنا ، لان الحى لا يستطيع ان يفكر فيما وراء حياته ، فهو يريد ان يقيس ماخفى عنه على ما بدا له ، ولعل مايبدو له هو خلاف الحقيقة التى ينشدها من وراء مايحس اذ يمكن ان يكون ما يتراءى له اليوم حقيقة، ينكشف عنه الغد خيالا، نتيجة كذب فى حس أو خطأ فى فكر

وربما كان مايأتيه العقل فى يقظته ، وهو قيد الحواس ، حلما يبدو له بعد تحرره من رق هذه الحياة الدنيا فتكون نسبة ماناتيه اليوم الى ماندركه بعد الموت كنسبة مانأتيه فى الحلم الى ما ندركه فى اليقظة

فاذا ثبت لدينا ان فى الاثر لامحالة جزءاً من روح المؤثر ثبت بداهة ان فى هذه النفس جزءا من القوة المسيطرة على الكون أو القائمة به ضرورة انها (أى النفس) أحدى جزئياته الداخلة فى مفهوم كلياته

فالارادة كما يبدو لنا هى أولى خصائص النفس وقد كانت الكنز الاول فى خزانتها . ولكن هل هى الجزء الذى ينم على الفكرة التى ابتدعتها فى الكون ؟

قد تكون ذلك اذا ثبت لنا انها هى جماع مافى النفس من جمال ، ولكن انى لها ان تكون كذلك وليست هى المثل الاعلى فى الانسان بله الحيوان بداهة ان مناطها فى النفس حب البقاء والسيادة والاستمتاع ؟ فالمرء يريد بطبعه ألا يتناول من الخارج الا مايتصل ببقائه وسيطرته وأستمتاعه .

فاذا كان ذلك مناطها ورأينا ان الصلاح كثيرا مايكون فى كبتها وصدها عما تأتيه ، علمنا إذ ذاك ان المثل الاعلى فى النفس الذى يشير الى حكمة الصانع الاول هو غير الارادة

ثم اذا استعرضنا ماتاتيه هذه الارادة من عمل بعد تنفيذه أو فى طريق هذا التنفيذ ، نحس بشىء يشعرنا بصحة هذا العمل أو فساده . فما هو أذن ذلك الشىء الذى نشعر به فى انفسنا غير الارادة ؟

هل هو ذاتها ، فيصح كون الشىء ضدا لنفسه ، أم غيرها ، فيثبت لدينا ان الحى مركب من أرادة تفعل ، ونفس تفعل وتنفعل ، وشىء آخر يشرف عليهما ، فيكوّن من الفعل والانفعال مثلا أعلى هو وهو ذلك الجزء المنبعث من الحكمة المبدعة الاولى ؟

ثم على فرض وجود هذا الثالث ، فهل وجد مع النفس كالارادة ثم نماه فعل الارادة فى الخارج الى حد أصبح معه ذا سلطة عليها فى كثير من الاحيان ؟ أم هل تكون فى النفس من تصادم الارادات ضرورة بقاء المجموع ليضمن بقاء الفرد فيكون وجوده متأخرا ؟

وهذا إنما يتضح فى أجماع العقول الناضجة مثلا على استحسان أمر له علاقة فى بقاء المجموع واستقباح أمر آخر يتعلق بفساد المجتمع فيربى هذا الاجماع المستمر فى النفوس ملكة كبت الارادات والمحاكمة بينها فتكون هذه الملكة أم هذا الموجود الثالث الذى نسميه فكراً تارة ومعقولا تارة أخرى، ان صح تعاقب هذين اللفظين على معنى واحد كما سيمر بك

وعلى كلا الأمرين فانا نشعر ان فى ذواتنا نفوسا تتدافع وتتصادم فى الحياة فتحرك هذه القوالب بأمر من الأرادة ، أو تتحرك هى بارادة أخرى تتصادم وارادتها ، ذاتية كانت أو عرضية

ثم نشعر ان ضمن هذه النفوس أرادات تسيرها الى ماخلقت له طبعا (١) فهى تريدك على الطعام والشراب والمتعة ضرورة أن هذه من مقومات حياتك

ونشعر بعد ذلك ان هنالك مايستعرض هذه الأوامر الارادية ثم يعرضها على الحياة فيصل بها إما الى صلاح فيستمر معها وأما الى فساد فيصدها. ذلك هو الفكر قبل الحكم وهو يستعرض ويقيس ، وهو نفسه العقل والهوى بعد الحكم متسلطاً على الارادة أو خاضعاً لها

ومن الصعب جدا تحديد أى الثلاثة فى طريق تحديد الآخر منها لشدة تمازجها والصلات المتأصلة بينها .

وربما كان أصدق تأويل لها هو أن النفس (٢) انما هى الوسيلة الاولى لتنفيذ أوامر الارادة ، والاعضاء هى الوسيلة الثانية . على ان العقل هو الحاكم الاعلى المشرف على المجموع ، ينتهى الحكم عنده سلبا أو ايجابا

«١» مساق الكلام هنا فى معرض النداء على عظمة المكون عطفا على ماسبق من ان عظمة الصانع مقيسة على عظمة صنعه

«١» لايلزم من قولنا طبعا ان يكون ما تأمر به هو العلة لوجودها وحده ، فان الارادة لما خلقت وكان ما تأمر به ناقصا لان يكون علة تامة لها، سلط عليها العقل فكان ميلها مع تهذيبه هو علة لوجودها وذلك هو المثل الاعلى فتامل

«٢» النفس هنا هى الثانية المعبر عنها بنواة الحياة والتى مر بك تعريفها فى صدر المقال

فالارادة فى الطبع تأمر والعقل يوقع ، والنفس تنفذ مباشرة ، فى الداخل أو بواسطة الاعضاء فى الخارج . والنفس تنفرد دونهما فى النوم والجنون والاغماء ونحوها ، اذا صح ان لا إرادة للمجنون بناء على ان الارادة مناط امر النفس بما يعوزها طبعا لا اجتماعا ، والمجنون قد يفعل مايضره فى الطبع بله الاجتماع. فالارادة لا تحمل الحى انسانا كان أو حيوانا على أن يلقى بنفسه من شاهق كما يفعله المجنون أحيانا ، من أجل ذلك تتحقق فيه النفس دون الارادة والعقل .

وهكذا هى فى النائم دونهما ، اذا صح ان العقل الباطن الذى هو زعيم الاحلام ليس الا خيال العقـــل الظاهر الذى هو زعيم اليقظة وحقائقها كما أعتقد ، لأنه حقيقة مستقلة تتكون من تجاريب العقل الظاهر التى اخفق معها فى حاضره أو ماضيه . ولكن العقل اليقظ المتخيل الذى ينتزع من الحقائق خيالا غريبا ينطبع خياله هذا فى مرآة النفس فيفعل فعله منتزعا من اخيلة الحقائق فى اليقظة أخيلة غريبة فى النوم : واذا لم يكن العقل الباطن هو نفس العقل الظاهر (١) يبدو ضعيفا لضعف مركزه العصبى المتأثر بالنوم الى حد يختل معه نظامه ، فيكون تناهى العقل بالحدة الى درجة التخيل المبتدع . وتناهيه بالضعف الى درجة خرافات الاحلام . وكلاهما ينتزع من بين حقيقتين أو حقائق خيالا مزعجا فى الحلم أو رائعا فى اليقظة ، وكما يصيب فى يقظته المغيبات أحيانا كذلك هو فى حلمه . . . إذا لم يكن كذلك فهو خياله المنطبع على مرآة النفس يتضاءل لبعده عن الحقيقة فيظهر مبتراً منقطعا .

وأما الارادة والعقل فملزومان للنفس لا انفراد لهما دونها ، فحيثما وجدت الارادة والعقل كانت النفس ولا عكس

ماذا وراء النفس بعد الارادة ؟؟

يقولون ان هنالك عقلا وفكراً وخاطراً وضميراً ، ان هنالك ذهنا وفطنة وذاكرة وذكاء ، ان هنالك شعورا وعاطفة وخيالا . وليست العبرة فى تعـــداد هذه الخصائص فى الانسان ولا فى نسبتها اليه ، وانما العبرة فى تحديد كل منها وبيان مايميزها من غيرها من الخلال ، ولغموض هذه الفروق نرى الكثيرين يخلطون فى الكلام عليها ، من أجل ذلك يجمل بنا قبل تحديدها أن نتمثل فيما يعرضها واضحة الحدود .

لنفرض أن لك صديقا حميما قد كثر غشيانك اياه فى منزله الذى يضمه وأجمل فتاة قد اقترن بها ، وفى كل زيارة ينمو فى نفسك حب هذه الفتاة ، لما ترسل اليك من نظراتها الساحرة ويملأ نفسك من ورائها جمال نفس يفيض على فمها رقة وابتساما ، والى جانب هذا الحب تنمو فى نفسك صداقة الزوج لما يغمرك به من فضل واحسان الى رقة طبع ودماثة خلق ، وليس ماتربى فى نفسك من ولاء اخيك وحب فتاته بأقل مما يحمل الزوج لك من ولاء . وتشعر به الزوجة نحوك من غرام

تبادلتما هذا الحب وبدا لك جليا واضحا هيامها بك وشوقها لك من عينيها الشاخصتين اليك ونظرها المسبغ عليك ، ثم بدا لك أن تزور صديقك فى وقت كنت مضطراً معه الى أن تراه ، وكان هو مضطراً فيه الى أن يغادر مكانه ، فكنت والزوجة خليين فى منزل واحد وعلى مقعـــد واحد يناجى كل منكما الآخر بما يجول فى نفسه ، فيبدو جليا على عينه رقة وفى حديثه تقطعا ، وفى حركاته اضطرابا . ثم امتد الأمر بكما الى أن هم كلا كما بصاحبه فكانت هى أشد ثورة منك ، فأول ماتتحرك فيك الارادة والرغبة ؛ ولكنك قبل أن تنفذها أو تباشر تنفيذها تلحظ ما يحف بهذا العمل الذى اقدمت عليه بدافع قوة الارادة الحيوية ؟ تلحظ مايحف بهذا العمل ـ وهو اشباع نفسك من جمالها ـ من أمور خارجية منها مايدفعك اليه ومنها مايردعك عنه ، فمن الاول التمتع بالجمال الماثل أمامك والذى هو فى متناول يدك ، ثم أمان العاقبة وشيوع الامر المفضى بك الى العار ، ثم اشباع نفسها من جمالك لتأمن مكرها فيما اذا هى اخفقت منك

ومن الثانى ـــ خيانة صديقك البار بك ، والتعـــدى على جمال ليس لك فيه حق ، وتشويه هذا الجمال بما تخفيه من دخيل داء

لا بد من ملاحظتك هذه الامور واستعراضها جملة أو متفرقة فى زمن واحد أو ازمنة مختلفة تتخللها فترات قصيرة. فأى العوامل كان أقوى أثرا فى نفسك لقوته فى الخارج كانت له السيطرة عليك داخليا فكان قائدا لك .

فاما أن يكون الاول فيجذبك اليهـا وتلبث زمنا ما تعبث بجمالها والشهوات تقيمك وتقعدك بين يديها

وإما أن يكون الثانى فيصدك عنها وتخرج ناصع الجبين مطمئنا الى راحة الوجدان .

تجرى هذه المحاكمة بناء على سلامته بذلك واستقامة نظام الحياة فيك وإلا فلضعف الاعصاب . وهى بعض مراكز هذه الخصائص تأثير قوى فى صرف الارادة وتعضيدها . « يتبع »

(١) خذ الطفل مثالا لذلك فانه يعقل ولكن عقله ضعيف لضعف مركزه من الجسم ، من اجل ذلك تراه يتخيل الغريب من الصور كالحالم

٣ — بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وأخفق مشروع الخلافة فى فتح الغرب من تلك الناحية ولقى الاسلام هزيمته الحاسمة فى المشرق أمام سور بيزنطية ، وقامت الدولة الشرقية فى وجه الاسلام حصنا منيعا يحمى النصرانية من غزوه وسلطانه . ولكن جيوش الاسلام جازت الى الغرب من طريق اسبانيا ، وأشرفت من هضاب البرنيه على باقى أمم أوروبا النصرانية ، ولولا تردد الخلافة وخلاف الزعماء لاستطاع موسى ابن نصير أن ينفذ مشروعه فى اختراق أوربا من المشرق الى المغرب ، والوصول الى دار الخلافة بطريق قسطنطينية ولكان من المرجح أن تلقى النصرانية ضربتها القاضية يومئذ ، وان يسود الاسلام أمم الشمال كما ساد أمم الجنوب ، ولكن الفكرة قبرت فى مهدها لتوجس الخلافة وترددها .

على ان الفتوح التى قام بها ولاة الأندلس بعد ذلك فى جنوب فرنسا كانت طورا آخر من أطوار ذلك الصراع بين الاسلام والنصرانية ، فقد كانت مملكة الفرنج أعظم ممالك الغرب والشمال يومئذ ، وكانت تقوم فى الغرب بحماية النصرانية على نحو ما كانت الدولة الرومانية فى الشرق ، بل كانت مهمتها فى هذه الحماية اشق وأصعب ، اذ بينما كان الاسلام يهدد النصرانية من الجنوب كانت القبائل الوثنية الجرمانية تهددها من الشمال والشرق ؛ وكانت الغزوات الاسلامية تقف فى المبدأ عند سبتمانيا ومدنها ؛ ولكنها امتدت منذ ولاية السمح الى اكوتين وضفاف الجارون ؛ ثم امتدت الى شمال الرون وولاية بورجونيا وشملت نصف فرنسا الجنوبى كله ، وبهذا بدا الخطر الاسلامى على مصير الفرنج والنصرانية قويا ساطعا ؛ وبدت طوالع ذلك الصراع الحاسم الذى يجب ان يتأهب لخوضه الفرنج والنصرانية كلها .

كانت المعركة فى سهول فرنسا اذن بين الاسلام والنصرانية . بيد أنها كانت من الجانب الآخر بين غزاة الدولة الرومانية والمتنافسين فى اجتناء تراثها ؛ . كانت بين العرب الذين اجتاحوا املاك الدولة الرومانية فى المشرق والجنوب ؛ وبين الفرنج الذين حلوا فى ألمانيا وغاليس . والفرنج هم شعبة من أولئك البربر الذين غزوا رومة وتقاسموا تراثها من واندال وقوط وآلان وشوابيين . فكان ذلك اللقاء بين العرب والفرنج فى سهول فرنسا اكثر من نزاع محلى على غزو مدينة أو ولاية بعينها : كان هذا النزاع فى الواقع أبعد ما يكون مدى واثراً . اذ كان محوره تراث الدولة الرومانية العريض الشاسع ؛ الذى فاز العرب منه باكبر غنم ثم أرادوا أن ينتزعوا مابقى منه بايدى منافسيهم غزاة الدولة الرومانية من الشمال

وكانت هذه السهول الشمالية التى قدر لها ان تشهد موقعة الفصل بين غزاة الدولة الرومانية تضم مجتمعا متنافرا لم تستقر بعد قواعده ونظمه على أسس متينة . ذلك ان القبائل الجرمانية التى عبرت الرين وقضت على سلطان رومة فى الاراضى المفتوحة كانت مزيجا مضطربا من الغزاة الظمأى الى تراث رومه من الثروة والنعماء . وكان القوط قد اجتاحوا شمال ايطاليا منذ القرن الخامس وحلوا فى جنوب غاليس وأسبانيا ؛ ولكن هذه الممالك البربرية لم تكن تحمل عناصر البقاء والاستقرار ، فلم يمض زهاء قرن آخر حتى غزا الفرنج فرنسا وانتزعوا نصفها الشمالى من يد حاكمه الرومانى المستقل بامره ، وانتزعوا نصفها الجنوبى من القوط وحلت فى غاليس سلطة جديدة ومجتمع جديد . وكان الغزاة فى كل مرة يقيمون ملكهم على القوة وحدها ، ويقتسمون السلطة فى نوع من الاقطاع ، فلا يمضى وقت طويل حتى تقوم فى القطر المفتوح عدة امارات محلية . ولم يعن الغزاة باقامة مجتمع متماسك ذى نظم سياسية واجتماعية ثابتة ولم يعنوا بالاخص ان يندمجوا برعاياهم الجدد ، فكان سكان البلاد المفتوحة من الرومان والغاليين الذين لبثوا قرونا يخضعون لسلطان رومة ما تزال تسود فيهم لغة رومة وحضارتها . ولكن القبائل الجرمانية الغازية كانت تستأثر بالحكم والرياسة وتكون وحدها مجتمعا منعزلا لبثت تسوده الخشونة والبداوة احقابا قبل ان يتأثر بمدنية رومه وتراثها الفكرى والاجتماعى . وكان اعتناق الفرنج للنصرانية منذ عصر كلوفيس اكبر عامل فى تطور هذه القبائل ، وتهذيب عقليتها الوثنية وتقاليدها الوحشية . ثم كان استقرارها بعد حين فى الارض المفتوحة ؛ وتوطد سلطانها وتمتعها بالنعماء والثراء بعد طول المغامرة والتجول وشظف العيش ، وحرصها على حياة الدعة والرخاء ، عوامل قوية فى انحلال عصبيتها الحيوية وفتور شغفها بالغزو ، واذكاء رغبتها فى الاستعمار والبقاء . وهكذا كانت القبائل الجرمانيه التى عبرت الرين تحت لواء الفرنج ، واستقرت فى غاليا قد تطورت فى أوائل القرن الثامن الى مجتمع مستقر متماسك نوعا . ولم تكن غاليس قد استحالت عندئذ الى فرنسا ، ولكن جذور فرنسا المستقبلة كانت قد وضعت وهيئت

الاسباب والعوامل لنشوء الامة الفرنسية . بيد ان هذا المجتمع رغم تمتعه بنوع من الاستقرار والتماسك كان وقت ان نفذ العرب الى فرنسا فريسة الانحلال والتفكك ، وكان الخلاف يمزقه كما بينا ، وكانت أكوتين وباقى فرنسا الجنوبية فى يد جماعة من الامراء والزعماء المحليين الذين انتهزوا ضعف السلطة المركزية فاستقلوا بما فى ايديهم من الاقاليم والمدن . ثم كانت القبائل الجرمانية الوثنية فيما وراء الرين من جهة أخرى تحاول اقتحام النهر من آن لآخر وتهدد بالقضاء على مملكة الفرنج . فكان الفرنج يشغلون برد هذه المحاولات ، ويقتحمون النهر بين آونة وأخرى لدرء هذا الخطر ولارغام القبائل الوثنية على اعتناق النصرانية . فكانت المسألة الدينية أيضاً عاملا قويا فى هذا النضال الذى يضطرم بين قبائل وعشائر تجمعها صلة الجنس والنسب . ولم ينقذ مملكة الفرنج من ذلك الخطر سوى خلاف القبائل الوثنية وتنافسها وتفرق كلمتها(١)

هكذا كانت مملكة الفرنج والمجتمع الفرنجى فى أوائل القرن الثامن أعنى حينما نفذ تيار الفتح الاسلامى من اسبانيا الى جنوب فرنسا . وكان قد مضى منذ وفاة النبى العربى الى عهد هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية (سنة ٧٣٢ م) مائة عام فقط ، ولكن العرب كانوا خلال هذا القرن قد افتتحوا جميع الامم الواقعة بين السند شرقا والمحيط غربا ، واكتسحوا العالم القديم فى وابل مدهش من الظفر الباهر ، واستولوا على جميع أقطار الدولة الرومانية الجنوبية من الشام الى أقاصى المغرب وأسبانيا ، وعبروا البرنيه الى أواسط فرنسا . هذا بينما انفقت القبائل الجرمانية الشمالية أكثر من ثلاثة قرون فى افتتاح أقطار الدولة الشمالية ومحاولة الاستقرار فيها .

« يتبع »

« الأدب المصرى القديم ـ بقية المنشور على صفحة ١٨ »

وربهم هو الملك ، لكن لكل من الجملتين معناها الخاص على رغم تشابه الغرض . ثم انظر كيف يصف واقعة فى موضع آخر :

« أولئك الذين يدخلون الى هذا القبر
أولئك الذين يرون مافيه »

هاتان الجملتان تبدوان للقارىء السطحى تكراراً ، لكن القارىء الدقيق الاحساس يستطيع ان يتبين فيهما فرقا اراده الشاعر المصرى القديم ، هو يريد ان يأخذ يد الداخل الى القبر فيضعها على مافى القبر من نقوش وتحف ، أكثر مما فيه من شىء آخر . أليس فى هذا منتهى دقة الحس ونعومة التصوير ؟

الجناس

وكما يشتهر المصريون فى الوقت الحاضر بحبهم الشديد للجناس اللفظى ، الذى تفيض به الاغانى والاشعار الدارجة ، فأن أجدادهم المصريين القدماء هم أصل هذا التراث الفنى البديع ، الذى يلذ للقارىء ان يطالعه ، وينعم بفكاهاته .

خذ مثلا الاغنية المصرية الدارجة :

يادى الجمـال والدلال والحب ونهاره
والشَّعر فوق الجبـين كالليل ونهاره
والدمع فاض م الجفون كالبحر وانهاره
قلبى أسـير فى هواك ويحـل انهاره ؟

والكلمات الاخيرة فى كل الابيات متشابهة النطق لكنها تؤدى معانى مختلفة تمام الاختلاف .

مثل هذا الجناس كثير فى الشعر المصرى ، وجميل ، لكنه مستحيل الترجمة لأن اللعب فيه يدور على الالفاظ فى علاقاتها بالمعانى ، فاذا ماتغير اللفظ بترجمته فقد الجناس بطبيعة الحال ، ومع ذلك فسأحاول أن أنقل هنا بضعة شطرات من هذا الشعر الذى يحتوى الجناس وانا أعربه عن المصرية بتصرف كبير لأوفق فيه الفاظ الجناس ، وأقربها للفهم لا أكثر ولا أقل

هى قصيدة طويلة فى وصف عربة الحرب قال فيها واصفها :

« عرفت رأسها كل البلاد ، وخر لها القواد »

ورأس العربة أى مقدمتها ، وإذ دخلت فى ركاب الملك كل البلاد فقد عرفتها ، ولأنها مصنوعة على شكل رأس كبش رمزا لآمون إله هذا العصر فان القواد جميعهم خروا سجدا لهذا الرأس . ثم يقول :

« مقابض عربتك عنات وعشتر »

يريد بذلك من جهة مقابض العربة ، التى يمسكها الملك وهو يحارب فيها ، من الجهة الأخرى أن القابضين على زمام العربة هما إلها الحرب فى الغربة

ولا يستطيع القارىء مطلقا ان يتذوق جمال هذا الجناس الا وهو يقرأ النص المصرى القديم الذى يدل على مبلغ ماوصل اليه المصريون من الافتنان فى الشعر والصنعة الشعرية ، ومبلغ حبهم للنكتة والتورية منذ أربعين قرنا مضت ، ناطحتهم فيها شدائد توهن أصلب الاعواد ، ومع ذلك لم تذهب بروحهم الكبيرة ، ونفسهم المرحة ، مدى هذه القرون الطويلة ؟

(١) راجع Creasy:Decisive Battles الفصل السابع ففيه استعراض حسن لاحوال المجتمع الجرمانى فى هذا العصر وعرض شائق لحوادث موقعة تور . راجع أيضا Zeller:Hist de L'Allemagne, Ch. VII

في الأدب العربي

عكاظ والمربد

اضطرنا لكثرة المواد أن نرجىء بقية هذا البحث القيم الى العدد المقبل فمعذرة الى قرائه .

مِنْ طرائفُ الشِّعر

مداعبات شوقيـــة لم تنشر

ظفرنا بثلاث قصائد من الشعر الفكه لشاعر الخلود شوقى بك نظمها ولم يتمها (فى الدكتور محجوب ثابت ومكسوينى) . ومكسوينى هذا كان حصانا بائسا يجر مركبة الدكتور ولا يزور الاصطبل الا لماما ، فألح عليه اللغب والسغب حتى لصب جلده ووهن جلده فمات وكان فى حياته وموته موضوعا طريفا لكثير من الشوقيات الغر ؛ نشر بعضها ولا يزال البعض الآخر مطويا . وسنكتفى اليوم بهذه القصيدة التى قالها الشاعر على لسان خلفه بعد موته . وكان الدكتور محجوب يومئذ معتقلا فى قصر النيل عقب الثورة مدة الخلاف بين الزعيمين سعد وعدلى .

سيوفُ أبيه من خمسين عاما   لواصق بالجدار بغير سلّ
علاها العنكبوت فكان غمدا   على غمد قديم العهد خلّ
ولى كالخيل اصطبل ولكن   افارقه وأترك فيـــه طلى
سلوا (باراللواء) و(صُلْتَ) عنى   ومصطبة السرى الشيخ[1] الاجل
من المرشال[2] أطلب رد روحى   وعودة فارسى وفكاك خلى
وأُنذر أن تفضل صوم عام   ومثلى من يصوم ومن يصلى
والاَّ مُتُّ دون الحق جوعاً   كذلك مكسوينى مات قبلى
ويا كمبوت[3] فيمَ كسرت قلبى   وأمسِ الحادثاتُ كسرن رجلى
وما الدكتور مجنون بسعد   ولا هو بالمحلّ شتم عدلى
ولكن قبلة الدكتور مصرٌ   وسودان يراه لهـــا كظل
بقصر النيل بات ، وكل سجن   وان كان الخورنقَ لا يُسلى
أقضى الليل حول السجن شوقاً   للحيتـــه أناجيها : أطِلّى
تشير من النوافذ لى وتومى   كغـانية هنـالك ذات دلّ
ولولا الديد بان دنوت منها   وكنت أنا الممشط والمفَلى

(١) المرحوم ابراهيم باشا سعيد رئيس لجنة الوفد المركزية اذ ذاك .
(٢) اللورد اللنبى ، وكانت الاحكام العسكرية معلنة . .
(٣) المستر كين بويد مدير الامن العام للقسم الاوربى .

نجوى

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

أقول لنفسى ، فى هذه الساعة . وفى هـــذا المكان :
« كنت ذات يوم محبوبا . ولقد أحببتها . ولقد كانت جميلة .
ثم خبأت هذا الكنز فى نفسى الخالدة . ورفعته الى الله ! »
(الفريد دى موسيه)

إليكِ أبعَثُ أحلاماً مُرَوعةً
منزُوعةً مِنْ فؤادٍ جدّ مخروبِ
ما تَستنيم إلى صمت فيغمرُها
لكنها أختُ تسهيدٍ وتعذيبِ
تظلُّ تقلقُ هذا القلبَ صارخةً
حتى تلمَّ بطيفٍ منكِ محبوبِ
كباغمٍ موجعٍ أفضى الهزالُ به
الى مرامٍ عسير الدّرْكِ محجُوبِ
إن عللّوهُ بمـا ينسيـهِ مطلبـهُ
أوحى الخيال إليه الف مطلوبِ
يصوّرُ الدمعُ مايعيا اللسانُ به
ومدمعُ الطفلِ موشِيُّ الأساليبِ
لهفي عليه تُمنيهِ الرُّؤى عبثاً
كأنهُ لُعبـــة بين الألاعيبِ
أقصيتِني عنكِ لاعهدٌ ولا أملٌ
سوى عذاب على الايام مصحوبِ
وعشتُ بعدكِ مخطوفَ الفؤاد هوًى
مغرَّباً فى دِيارى أيَّ تغريبِ

خيبتنِي فطوَيت العمرَ مكْتئباً
ما كانَ أوجعَ حرمانى وتخييى

خلفتِ نفسى آمالا مصرعةً
ما فِى قرارتها غيرُ الأكاذيبِ
ترى السموات ِتابو تاً قدانسدَلت
على جوانبهِ ســودُ الجلابيبِ

من الهوى أن يعودَ العمرُ طافحةً
أيامُهُ بصبيٍّ كالحلمِ موهوبِ
يبنى منَ الشفقِ الرفافِ زورقهُ
ويستحيلُ إلى أُنسٍ وتحبيبِ

هــذى الامانىُّ أضنتنى مآربها
ياويحها كم أداريهــا وتلهو بى !
منحتها خافقاً نهلانَ من أملٍ
يهزُّ بالشدْوِ أرْوَاحَ المطاريب
فما جزتنى على ودى بعارفةٍ
تبقى ضمادا لجرحٍ غيرِ مرؤوبِ

الـكون بعدك أنقاضٌ مبعثرةٌ
كمعبدٍ من عراكِ الدهر مخروبِ
ترى به مقلتى المسلوبُ رونقُها
دارَالحريبِ ومأوَىكلِّ منكوبِ
مشت عليهِ الليالى وهى هازئةٌ
نكراءَ تقرع مشعوباً بمشعوبِ
لا دُمْيَتى بت أرعاها وأعبدُها
كناسكٍ ذاب فى جوفِ المحاريب
ولا دُعائىَ أدَّت بى معارجُه
إلى مطافٍ شهى الحُلمِ مرغوب
وأين، لا أين مى همس فاتنـــة
أفنيتُ فى حسنها حبِّى وتشبيبى
غابت فولت عن الدنيا بَشاشتها
فلست ألمحُ فيهـا غيرَ تقطيب

وقد بدأ العيش ِخلواً من مفارحه
مجللاً بشجاً كالليــلِ غرْبيبِ

والحقلُ بَعدكِ تؤذينى زيارتُه
فأنثنى عنه والـتَّردادُ يُغرى بى
لا أستطيع أُجيل الطرفَ مفتقداً
آثار حُبٍّ كدمع الفجرِ منهوبِ
مافى خمائِله حسنٌ ولا ألقٌ
ولا أزاهره تخضَلُّ بالطيبِ
إذا خيالكِ لم يبهجْه مؤتلقاً
فالحقل فى ماحلٍ كالقفر مجدوب
غشيتُـه وفؤادى ما يُفيق جوًى
ما كان أجدرَنى عنـه بتنكيب !
هنا تذوَّقتُ سِرَّ الحبِّ مغتبطاً
من غير ما مأثمٍ فيـــه وتثريب
هنا من الحب سِفرٌ رائع عجب
قد ضمَّ أقدسَ تذكارى وتجريبى
هنا شبابىَ مدَّ الله سَرحتَه
رَبًا ومافيه من وِزرٍ ولا حُوب
هنا الهوى كان طفلا فى محفَّته
وكان أمتعَ مولودٍ ومربوب
لما حبَا هلل الوادى له فرحاً
وقد تقلب فيــه أىَّ تقليب
فرَشْتُ بالزهر المنضور ملعبَه
فرَفَّ يزهو بتنضيدٍ وترتيب
وحينما سَعِدَ الوادى بمطلعِه
رَمى به الموت فىهُلكٍ وتتبيب

وراعنى أن أرى الأطيار ساكتةً
خرْساء من غير ترنيم وتطريب
لا النهر يُوحِى اليها ناغماً هزجاً
سكرانَ يركض فى أثناء ملحوب

ولا النسائم تذكى فى جوانحها
أشعار قلب من الأوجاع مكروب
تكاد إن أخذتْ عينى خيـالتها
تردها بين تصديق وتكذيب
لم يبق من أُنسها الخالى سوى أثر
من اسمك العذبِ فوق الجذع مكتوب
خشعتُ بالقرب منه ذاهلا حسراً
كهيكل فى شعابِ الأرض منصوبِ
قدسته فمشى ثغرى يقبـله
ومدمعى بين محبوس ومسكوب
تقتات نفسى بالذكرى ويؤنسهـا
خيالكِ الحلو فى صحوى وتغييبى
وقد أراك فينسى القلب لاعجَه
ولا يطيف بيأسٍ منكِ محلوب
تبارك الحلم الرَفّاف كم غلبتْ
غيـابة منه حزناً غير مغلوب
....
حججت بيتكِ فى وهمى فما سعدتْ
روحى بود نقى النبع مصبوب
كأنما نسى الحسن الذى طفحتْ
منه السموات اذلاجى وتأويبى
فتشت فى ساحه عن ظل موحية
غيداءَ غطت على سحر الرعابيب
ناديتها باسمها فارتعتْ مرتجفاً
من موحش دائب الانصات مرهوبِ
فما رأيت لها ظلا ولا أثراً
وملت الدار من بحثى وتنقيبى
خلتْ مقاعد كانت أمسِ مونقةً
فغامت اليومَ من نسجِ العناكيبِ
أحسُّ منه صدى صوت أقدسه
أسرى الى الخلدِ من وخد وتقريب
كأن بالأذنِ من نجواه وشوشةً
تبكى على أمل فى الغيب مغصوبِ
مشى مع النورِ لا تثنى عزيمته
عجلان يدفع ألهوباً بألهوبِ
يلوح فى الفلك الفضى متشحـاً
بلامعٍ من شعاع الخلدِ مصبوبِ
مازال يطوى الفضاء الرحب مختفياً
كتائه فى فجاج الغيبِ محزوبِ
حتى ترامى على عرش الالهِ أسىً
وذاب فى لاهب بالحبّ مشبوب
أنور العطار

مجمرة الأفق

لله عنـد المغيب موقفنا ... وللهوى عنـدنا تباريحُ
نرتقب الليل فوق رابية ... يعبق منها العرار والشيح
والشمس فى أفقها معلقة ... من حولها للسحاب توشيح
كأنها والسحاب مجمرة ... أطار عنهـا رمادها الريح
ليلاى ماج الغدير وارتجحت ... لليل فى حضنه مصابيح
دونك روضا كأن أغصنه ... صدر لضم العشاق مفتوح
هزى أراجيحه، فهل خلقت ... إلا لأحلامنا الأراجيح؟
لا شمس غابت، ولا ظلام دهى ... ولا غصونٌ هفت ولا ريح
لكنه حبنا فما اختلجت ... فى الروض لولا غرامنا روح
شفيق معلوف

شاعرة

غادة جرت ذيول الأدب ... وتغنت بقريض العرب
يأسنُ الشعر فإن مر على ... ثغرها عاد بنشر طيب
تنطق الألفاظ معذوذبة ... بفم حلو اللمى معذوذب
درر خارجة من درر ... تلك لم تثقب وذى لم تثقب
شد ما يأسر لبى قلم ... مرهف فى أنمل مختضب
يارعى الله قواما لينا ... ينحنى كالقوس خلف المكتب

« البقية على صفحة ٣٠ »

في الأدب الشرقي

من الأدب التركى الحديث :

عبد الحق حامد

للدكتور عبد الوهاب عزام

شاعر الترك الاكبر ، حمل لواء الشعر أكثر من خمسين عاما غير منازع ، ولا يزال على المرض والشيخوخة مطمح الأبصار ، وقبلة الأفكار .

ولد سنة ١٢٦٧هـ فهو الآن فى الخامسة والثمانين من عمره المبارك ، وما فتىء منذ بلغ العقد الثالث فياضا بالشعر والنثر يسلك فيهما المسالك المختلفة موفيا على الغاية ، بالغا من الجمال والجلال النهاية ، حتى كتب أكثر من ثلاثين كتابا ، ثروة يفخر بها الأدب التركى بل يتحلى بها الادب الانسانى .

وليس يتسع المقام هنا للابانة عن شعره ونثره ، أو الافاضة فى وصفه والكشف عن نواحى النبوغ والاعجاز فى طبعه ، ولكنى أعرض لكتاب واحد من كتبه :

فى سنة ١٣٠٢ كان الشاعر فى الهند فمرضت زوجه ، فسافر بها راجعا الى دياره فماتت فى الطريق ودفنها فى بيروت . وكانت فى سن الخامسة والعشرين ، وشاعرنا يومئذ ابن خمس وثلاثين .

كانت وفاة فاطمة قيامة فى نفس عبد الحق وفى الادب التركى . كتب فى البكاء عليها زهاء الف وخمسمائة بيت فى كتابين أكبرهما وأولهما سماه « مقبر » ، وهو صرخة ما تزال مدوّية فى الأدب التركى منذ خمسين عاما . ولن يمحى صداها فى الحياة مابقى فى الانسان قلب ومابقى للشعر التركى قارىء ، والثانى سماه « أولو » أى الميت .

يقول جناب شهاب الدين وهو من أعاظم أدباء العصر :

ان « المقبر » ومقدمته فتحا عصراً جديداً فى أدبنا المنظوم والمنثور . ولم تؤثر وفاة فاطمة فى حياة الشاعر وحده بل فى آداب الامة كلها . . . ولا ريب أنه قد ولد من القبر الذى فى بيروت شاعر جديد أعظم من شاعرنا الاول . ان « المقبر » أعظم وأجمل تمثال فى آدابنا ، ولست ارتاب فى أن هذه البديعة التى كتبت على صحافة البقاء قد قدر لها الخلود . »

« المقبر » ثورة هائلة بعث فيها الشاعر أناته وعبراته وصيحاته وكل ما فى قلبه وعقله . ينظر الى القبر باكيا فيطير به الفكر فى أرجاء العالم ، ويصعد به الى الله ثم يطوى فكره شيئا فشيئا ويهبط به الى القبر ليطير عنه الى السموات كرة أخرى . وهو فى ثورته واستسلامه يذكر القارىء بقصيدة فكتور هوجو (A. Villequier) التى رثى بها ابنته

ثارت ثائرة بعض النقاد على حامد « ومقبره » حينما نشره اذ رأوا فيه لغة غير مألوفة ، وثورة غير مفهومة ، فكان فى جلال الحزن وشدة الالم أسمى من أن يبالى المدح والذم . وما كتب الشاعر كتابه ليكون بديعة أدبية . بل أراد ، كما يقول : أن يبنى بالشعر قبر الحبيبة ، لايكترث بالناس حين يبنيه ؛ ولا يبالى بما يقولون فيه .

وقبل أن أعرض على القارىء نموذجا من « المقبر » أترجم مقدمته المنثورة التى يراها بعض الادباء عهداً جديداً فى النثر ، كما يعدون الكتاب عصراً جديداً فى الشعر . قال :

« المقبر » : — وهو آخر ما كتبت — كتب لتخليد وجود أصابه الفناء . وأنا أعلم أنه ليس فى « المقبر » أثر من المعانى الشعرية التى تنطوى عليها المقابر . وانما « المقبر » صيحة حسرة منبعثة من العدم ، فلن يظفر قارئه بشىء ، ولكنه عندى شىء . أجل أن الفكر حين يجوس خلال الكتاب ليطوّف فى مقبره ثم يخرج منه كما يخرج من المقابر ؛ لايفقه شيئا . .

قراءة فاتحة هذا الكتاب كاستيعابه كله ، والاحاطة بما فيه كالتفكير فى اسمه . لقد كتب هذا الكتاب فى مقبرة ، فهو وحى من الالم لمن يعرفون الكاتب السيء الحظ ، ووحى من الكلال لمن لايعرفونه .

من يسألنى : لماذا تنشر على الناس آلامك فى هذه الصورة وكان يسعك أن تكتمها فى قلبك ، أو تكتبها ولا تنشرها ؟ فذلك جوابى له :

لايبقى من هذه الاجساد المتهافتة فى وادى الصمت الاأحفان من التراب ، وكذلك لايبقى فى القلب من أحب الذكريات إلا خيال دارس ، ولست أقنع بهذا الخيال .

وأما نظم الكتاب وحفظه بين أوراقى فمصيره أن يبلى كما تبلى الاعضاء الميتة والافكار اليائسة ولست أرضى بهذا البلى .

هل يضمن نشر الكتاب خلودها كما رجوت ؟ لا — ولكن مهما يكن من شيء فا « المقبر » أطول منى عمراً . ومن أجل ذلك نشرته ، انه قبر مبنى من الصيحات التى فى قلبى ؛ أود أن تكون كلماته كالكلمات التى نقشت على الاحجار . هيهات ... !

كل صيحة فى هذا « المقبر » قبر منفصل ولكن فيها كلها دفينا واحدا ، هو الانسانية التى تجلت لى فى الوجه الذى أحببته .

كتبت هـــذا الكتاب لأقرأه وحدى ، فقليل من يشاركنى احساسى . بل لاأود أن يشاركنى أحد فى هذا الاحساس خشية أن لا تكون هذه المشاركة الا بالتجريب . أريد أن أبكى وحدى على المسكينة التى بكيتها ، وهذه الوحدة عندى سلوان لانها أكبر العذاب .

ألا يرى القارىء أن هذه المقدمة كذلك تشبه كتابا كتب لى وحدى . وبعد . فليست العبارات المكررة فى « المقبر » الا كلمة واحدة ، وليست هذه الكلمة الا قبرا ؛ كما تنتهى الاصوات كلها الى النفس الاخير .

لا ارتاب ان « المقبر » كآثارى الأخرى سيفنى ، بل اعرف ان الابدية كلها لاتفى بحفظ آلامى على حالها ، وسيصعد الكاتب الى حضرة الخالق ودماء هذا الجرح سيالة من قلبه

من القلوب مالا يجتمع فيه السرور والآلام ، ومن القلوب مالا يزول حزنه بمايصيب فى الدنيا من سعادة و جدّ ، ولكن هذا الحزن لايحول دون السرور ، وفى بعض القلوب يخيم السرور والحزن معا ، ومن أجل ذلك تلوح السلوة فى الحزن أحيانا ، و يبين الالم فى الابتسام .

ومن القلوب مايزيد الفرح أحزانها . ومن هذه الآلام آلامى .

أود أن أطرب ليزيد حزنى ، ولست بمستطيع أن أفهم الناس ذلك ، فلغة هذا الاحساس تكبر على الأفهام . فلأصمت !

إن القارىء الذى يريد أن يعد « المقبر » شعراً لأنه من آثارى لن يجد فيه من شاعريتى أثراً ، ولكنه اذا فكر يسمع صرخات يستطيع أن يحسبها شعراً ، وما هذه الصرخات الا عجز البشر .

أعظم الشعر وأجمله وأصدقه أن يعيا الانسان بالبيان فيصمت حين تنوءبه أحدى الحقائق الهائلة . ولكن المقبر يخطب ولا يصمت .

١ يعجز الانسان أحيانا أن يعرف خيالا لاخطر له لما يبهره من جماله ، ويقصر أحيانا عن أدراك الفكر الطائر عن عقله لما يفوته من علائه . ويعيا أحيانا بفهم الاحساس المولود من قلبه لما يهوله من عمقه . وفى هذا العجز يرسل صيحاته ، أويشدو بمالا يفهم من كلماته ، أو يصمت فلا يترجم عن حسراته ، فيأخذ قلبه فيطؤه بقدمه فيحطمه . وهذا كله شعر .

« المقبر » يتضمن أحساسا ولده قلبى . ولكنه فى بعض نواحيه غريب كل الغرابة عما يروى من شاعريتى . يجد القارىء فيه لغتين لاتشبه أحداهما الأخرى ، حتى يحسب أن قد تعاقب على « المقبر » كاتبان . بل يبعد بعضه منى حتى أعيا أنا بفهمه .

فأما حديثى فيه عن الماضى ـ وهو اكثر مواضعه خرابا على أنه أحبها الى ـ فيبكى من يعدوننى شاعرا ، ويزيد صدق من لا يعدوننى من الشعراء . وبعض مواضعه ليس من شعرى ، بل هو أشبه بقبر فتاة فى ميعة الصبا .

أول هذين من النقائص الأدبية ، والثانى من النقائص الأنسانية .

ومايرجع الى تصوير الفضائل ناقص أى نقصان

وبعض نواحيه لايستطيع أن يمكث فى الأرض لأنه صيحات .

« المقبر » فى جملته ، يراه كثير من الناس أثرا باردا ، ولكنها البرودة التى تحرق قلبى .

لابد لعالم الأدب من آخرة ، والمقبر من هذه الآخرة علامة .

« المقبر » قبر حياتنا الأدبية ، والمقبر زوالى (١)

« المقبر » يبين عن فكر واحد بأساليب شتى ، الفاظه عند الخاصة لاشىء ، ومعانيه عند الخاصة والعامة لاشيء ، ولكن هيكله قبر ميت عزيز فهو عندى شيء .

« المقبر » خفيف فى جانب ثقل المصيبة التى أصابتنى ، فارغ فى جانب عمقها ، عدم فى جانب شعرها ، ولكنه بالقياس الىّ شيء .

ينبغى أن يكون « المقبر » ضريحا لا قبرا ، معبدا لاضريحا ، كوكبا لا معبدا ، فضاء لاينتهى لا كوكبا . ولكنه وأسفا ، لم يبلغ أن يكون قبرا .

« المقبر » ينبغى ان يكون منبرا ينزل اليه نور الاهى ، ولايستطيع أن يصعد اليه الفكر الانسانى ، يجب ان يكون « المقبر » محشرا . هيهات . !

لاأقول يجب الا أظهر فكرى ، بل ، يجب أن يكون مما لايمكن ظهوره . « المقبر » يئن أبدا . وان دل هذا الأنين الأبدى على العمق فواحسرتا أنه لايعدو أن يكون قبرا . ان معنى هـذا « المقبر » ظواهر المقابر .

ذكرت النقائص الأدبية والنقائص الانسانية . نعم ، ماذاعسى

(١) يريد الشاعر أن الكتاب بغموضه وركاكته قضى على الشعر التركي .

أن أفعل ؟ ماذا أفعل لتصحيح الخطأ وأكبر الخطأ صادر من المصحح .

ان الأبيات يجب أن تصنع للوقائع الجليلة ، والافكار الجميلة ، كما تبنى الهياكل للأسماء الكبيرة ، وباسماء الوجوه الجميلة . والقبر هيكل بناه الله فكيف نستطيع نحن أن نصور ونجسم ؟

أى شاعر جسّد امرأة جميلة فصورها للذين لم يروها ؟ أى قلم حكى المحاسن الطبيعية على وجهها ؟ ان الذى يلهمنا احسن ما نشعر ونكتب هو الطبيعة وهذا الشعر يشبه الصورة التى تتراءى فى الماء لا بد لها من مصدر خارجه.

بعض أكابر الأدباء يدعون أن مزايا الشاعر تتولد من نفسه وليس هذا رأيى . ان محاسنى «ان كانت» هى للجبال والمروج والوجوه الجميلة والأزهار . وأما سيئاتى فهى لى . أقول قبل أن أختم :

ان المصيبة التى أخبرنى بها «المقبر» قلبت شعرى كما قلبت كل شيء فى . فهل صعدت صدمة هذا الانقلاب بفكرى أو هبطت به ؟ يعرف ذلك أخوانى .

انظروا كيف عجزت عن كتابة كلمات حتى فى المقدمة ؟

الانقلاب الذى ذكرت هو قيامى فى نقطة أو فى فضاء غير محدود حيث تصطدم السماء والقبر . بقى قلبى طويلا بين هاتين القوتين الهائلتين ، كلما اقتربتا شعرت بالعزاء وكلما ابتعدتا غمرنى اليأس .

ثم أتحدتا فتحطمت فظهر « المقبر » . فهل هذا شعر ؟ محال . كان يجب أن يتحد القبر والسماء أو بعبارة أصدق أن يبقيا مفترقين ، وكان يجب أن أنوح فى الافتراق والاستغراق فيكون هذا شعرا

أنا لا أستحسن معظم ما كتبت قبل «المقبر» وبعضه يعجبنى قليلا ، وأما المقبر فلا يعجبنى قط ، ولكنى أحبه كل الحب . لا يعجبنى لأن صلة هذا الكتاب بالأدب واهية ، وأحبه لأنه «هى»

لعل «المقبر» يشبه الشعر عند من يرون الخليقة كلها شعرا ، وهو عندى يذكرنى بشاعرة - شاعرة كانت شعر القدرة الصانعة كل ما فى «المقبر» على نقصه وحشوه . روحانية متوفاة، ومعنوية روح « المقبر » حالها وصورتها وخيالها وهيكلها وقبرها وحياتها التى ذهب الدهر بمحاسنها . ثم أكرر فأقول : « المقبر » « هى » ومن أجل ذلك أحبته .

ولكن «المقبر» فى نظر الأدب طفل دميم : طاهر ، ولكنه ليس جميلا ، وفيلسوف حقير : حكمة ولكنها ذات ريب ، وحسن معيب : صيحة ولكن ذات صناعة ، وقبر مشيد : ليس حزينا ولكنه قبر : مغرب، ولكنه متلالىء ، جمال ولكن بغير حب ، شعر ولكنه ذوقافية ، لأجل هذا لا أحبه

الفكر نهايته الموت، والشعر نهايته الألفاظ والقوافى ، فماذا أصنع؟ ان لم يكن «للمقبر» بد من فكر شرعى فهذا الكتاب قبر متوفاة ، أسأل زائريه الفاتحة .

وفى العدد الآتى نعرض على القارىء مثالا من شعر «المقبر» ان شاء الله ؟

« بقية المنشور على صفحة ٢٧ »

ويمينا بضة ناعمة ... خلقت للجد لا للعب
طبع النقس عليها شامة ... كالتى فى خدها الملتهب
أن فى قرطاسها مرقها ... كأنين العاشق المكتئب
وحنا بين يديها رأسه ... كانحناء الساجد المقترب
غادة مرآتها أن نظرت ... صفحة من صفحات الكتب
ياأله الشعر باركها أذا ... سبحت فى موجه المصطخب
احفظ الهيفاء من تياره ... ليس بحر الشعر سهل المركب
يافتاة الخدر عوذتك من ... سهر الليل ونجوى الشهب
وشرود الفكر فى جنح الدجى ... وهروب اللفظ عند الطلب
أتركى جفنك ينفث سحره ... فى خيالى وقفى عن كثب
لاتقولى الشعر بل أوحى به ... أنت خصب للخيال المجدب
أنما الشعر محيط فاسلمى ... ودعى أمواجه تقذف بى
أنه عبء على حامله ... مالهذا العبء ألا منكبى

محمود غنيم

ياليتنى !

عينىّ هل من صوب دمع مسعد؟ ... نفدت دموعى والأسى لم ينفد
روح فقدت حنانها البر الذى ... لا يُستظل بمثله إن يفقد
مازلت فى حزن عليها مرمض ... وتحير فى إثرها وتلدد
جاءت وراحت أشهر لم تنصرف ... عن ودها روحى وقد صفرت يدى
وتجىء أعوام وتذهب أشهر
لا يرتوى من وجهها الطرف الصدى
ياليتنى قد كنت حاضر يومها ... وسعدت قبل رحيلها بتزود
وشهدت أنتها بلـيّن مهدها ... ورأيت سكتتها بجافى المرقد
لما نضت أوصاب داء مسقم ... من بعد طول تصبر وتجلد
ورمت قيود معيشة ماعاشها ... فى الناس غير مثقّل ومقيد
لولا حذارى أن يفجعها الأسى ... ويؤودها صرف الحمام المعتدى
ويزيدها شجنا على أشجانها
لوددت لو عاشت وكنت أنا الردى
ونعمت فى لحدى بهاطل دمعها ... ينهلّ لى وبشوقها المتجدد
وحنانها الصافى يظل مزاوراً ... قبرى يروح مع الزمان ويغتدى
وأقر جسمى فى التراب موسداً ... ذاك الفؤاد يعودنى فى العوّد
قد كان ذلك راحتى لا ماأرى ... من حيرة تضنى وعيش مكمد

فخرى ابوالسعود

الزهرية المصدوعة

لسوللي برودوم

ترجمة الأستاذ أبي قيس عز الدين علم الدين

عضو المجمع العلمي العربي

سوللي برودوم شاعر فرنسي ولد بباريس سنة (١٨٣٩-١٩٠٨) وتثقف بها في شبابه بثقافة علمية متينة ، اكتسب منها عنايته الشديدة بتدقيق العبارات وتوضيح الدلالات ، وقد امتزج ذلك بما أوتيه من قوة الأحساس وسعة الاحلام ، ولم يتخرج الا من المدرسة البرناسية التي تعلم فيها كما قيل : « ان ينظم بصعوبة قصائده السهلة » وقد برع في التعبير عن أدق عواطف القلب البشري وأصدقها . براعته في قصائده الفلسفية المشتملة على أسمى المعاني وأنبلها .

وأما قصيدته الموسومة بالزهرية المصدوعة فان لها شهرة ذائعة في الغرب ، وهي من آيات سوللي والروائع الرمزية الخالدة ، وقد عرف بها ناظمها لبعد شهرتها فقيل له : شاعر الزهرية المصدوعة وفيها أبدع الأبداع كله بتشبيه القلب الجريح الذي نضب دمه فذبلت زهرة محبته بالأناء (١) الصديع الذي جف من الصدع ماؤه ، فظمئت زهرة نبتته وذبلت أخيراً ، والذي جرح القلب هو قسوة المحبوب وتماديه في هجرانه ، تمادياً حرمه ندى عطفه وحنانه ، قال :

شهدت الأناء الذي فيـ ه تقضى من الزهر سوسنة وادعه
قد اصطدم اليوم ـ ويحاله ـ بمروحة صـدمة صادعه
لكنها لم تك غير لمس
فلم تثر من ضجة أو حس
ومع أنه كان صدعا لطيفا وما ظنه احد بالشديد
فقد كان تأثيره ، وهو سار ، بيلوره كل يوم يزيد
وقد سرى الصدع به خفيا
فامتد في الأناء تدريجيا
وماء الأناء ، وفيه الحياة غدا يتقطر من صدعه

فجفت عصارة أزهاره وغاض الرحيق جنى طلعه
لم ينتبه لذاك حي يعلم
لاتلمسوه ! إنه محطم

***

ورب يد غضة قد تحب أناملها وهي تبدو لطيفه
تمس شغاف القلوب فتخدشه خدشة قد تخال خفيفه
ينصدع القلب لها من نفسه
ذابلة زهرته ليبسه

***

وقلب يرى أبداً في العيون صحيحاً وماهو قلب صحيح
نما جرحه فبكى صامتا وبالجرح يشعر قلب الجريح
وجرحه العميق هذا مؤلم
لاتلمسوه ! إنه محطم

دمشق أبو قيس

حديث الطبيعة

لشاعر الطبيعة وردز ورث

أهاب صديقي ذات صباح لدن رونقُ العيش غضٌ نضِر
هنالك عند البحيرة إذ جلست أطيل لديها النظر :
أراك قضيت سحابة يوم لك منفردا فوق ذاك الحجر
ففيم اعتزالك ياصاح تمضي حياتك بين الرؤى والذكر ؟
وكتبك أين ؟ شعاع الحياة يُبيِّن من أمرها كل سر
إليها ! وفز بتراث الجدود الذي خلفوه لآتي العصُر
تقلب في أمك الأرض عينا كأنْ ولدتك لغير وطر
كأنك أول من ولدته ولم يحي قبلك حي غبر ،،
فقلت : وهل أذُنٌ تأتلي . عن السمع ، أو مقلة عن بصر؟
سواء على الجسم إن رمت منه الشعور وإن لم ترمه شَعَر .
رأيت الطبيعة ذات قوًى تغلغل في مُهُجات البشر

(١) - الاناء الذي تنمو فيه الازهار وتزدان به الدار ويسمى الاصيص أو القصرية .

تغذى النفوس وهن سكون ولم نشق فيها النهى والفكر
أتحسبنا لن ننال الحقيقة دون طلاب طويل عسر
وهذى الطبيعة آثارها شواهد ناطقة بالعبر؟
فان ترنى لحديث الطبيعـة أنصت فى صمتى المستمر
فلا تسألنى عـلام قضائى حياتى بين الرؤى والذكر،،

فخرى أبو السعود

محمـــد

للشاعر الفيلسوف جيته

بقلم الأستاذ الجليل معروف الارناءوط

أولع جيته شاعر المانيا الاكبر وأديب الانسانية الاعظم فى شبابه باشعار الشرق واقاصيصه، وبلغ من ولعه بمحاسن الشرق حدا جعله يتهافت على دراسة ماضى شعوبه، وفى سنة ١٧٧٢ قرأ جيته للمرة الاولى ترجمة القرآن للاستاذ ماغرلين فسحرته بلاغة سورة ابراهيم، كما استهوته طفولة محمد، هذه الطفولة البارعة التى أمضاها فى بيت حليمة السعدية مرضع الرسول اليتيم، وكان جيته على نصرانيته يشعر بصفاء الاسلامية وطهارتها، فعكف على دراسة حياة محمد وخرج من هذه الدراسة التى وهب لها عواطفه واحساساته بروايته التمثيلية «محمد» وهى مأساة فى ثلاثة فصول أودعها جيته أرق اشعاره وأعذبها، وكان أمتع فصول هذه الرواية التى لم تنقل لسوء الحظ الى اللغة العربية ذلك الفصل البارع الذى صور فيه شاعر المانيا الاكبر محمدا معتزلا قومه ليعيش فى الريف، وفى هذا الفصل يتحدث الرسول الى الكواكب، ثم يفتح صدره لله فيغمره بنوره الخالد، ويخرج يتيم مكة بعد ذلك الى العالم نبيا ورسولا

ومما هو جدير بالذكر أن رواية محمد لم تكد تظهر فى المانيا حتى راح خصوم جيته يتهمونه بالكفر والخروج على النصرانية فنشر جيته على أثر ذلك رسالته المشهورة وعنوانها: لماذا آمنت بمحمد، وذكر فيها انه أحب محمدا كما أحب عيسى بن مريم، وأنه يرى فى الاسلامية ديانة الخلق السامى الصحيح

وقد نقلنا بعض فقرات من هذه الرواية العظيمة ليقف القراء على رأى سيد أدباء العالم فى سيد انبياء العالم

الفصل الاول — المشهد الاول

محمد ينظر الى الكواكب . .

أواه! لا أستطيع أن أفرق بينك يا اشعار السماء، الا ترين الى نفسى وقد برح بها شجن بليغ عنيف، لقد كان من أرضى أمانى هذه النفس أن تهب احساساتها لكل كوكب؟ فما قدرت على ذلك؟ فاى هذه النجوم الفواتن يسلفنى السمع ويسترق صلاتى؟..
أى هذه النجوم ينظر الى طرفى الدامع الضارع؟

أى كوكب العشية الساجية الرخية الظل، انك لتجوز نواحى الافق، فى حاشية من بروق فتانة، ثم تواريك هذه الغلائل الرقيقة فتنأى عنى فاناديك، الا عُد الى مسفرك وانظر الى، فاننى أولعت بك أشد الولع، وهمت بفتونك واشراقك

اثابك الله ايها القمر، انك لافضل من يرشد هذه الكواكب، ويقودها الى عوالم الضياء والبهاء، فأنر طريقى ولا تذرنى هائما فى هذه الظلمات مع شعبى السادر الحائر!

وانت ايتها الشمس التى تخلع ظلها على الاشياء والناس، ظللينى بنورك البهى وقودى خطواتى، ولا يحجبك عنى سحاب أو ضباب!

اواه! أتتوارين عن عينى فى الاسداف البعيدة ايتها الشمس يامن غدا أمرها فتنة لجميع الناس

من يجذبنى اليك ايها القدير العظيم، من يقربنى منك يامن خلق الارض والشمس والقمر والسماء وخلقنى انا فى لحظات، من يقربنى منك فاغسل قلبى بنورك الذى لا يغيب

المشهد الثانى ـ محمد ـ حليمة

«محمد»: اى حليمة! لماذا جئت فى هـــذه الساعة الهائنة الصافية؟ اكان وفودك على لاثارة حياتى الراكدة الساجية؟

«حليمة» جنب نفسك الخوف يا بنى فانى مازلت أبحث عنك منذ غارت الشمس واطفل النهار، ناشدتك الله الا تعرض شبابك الرقيق الناعم لاسواء الليل ومخاطره

«محمد» يفرق الرجل الردىء الخبيث من متوع النهار كما يفرق من سحر الليل، وذلك لان الرذيلة تجلب التعاسة، أما أنا فلست ذلك الرجل الذى يعاف متوع النهار وبهاء الليل، فلقد غمر الله نفسى بضوئه، وخلق من حولى عالما يزهر شبابى ويريق عليه سحره وفتونه.

«حليمة» ولكننى أخاف عليك وأنت فى عزلتك فى هذا الليل البهيم ان يدهمك اللصوص والسراق

«محمد» الا ترين الى؟ اننى لم أكن وحدى فى هذا الريف الضحيان

« البقية على صفحة ٤٠ »

الحمى داء ودواء

للدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

الحمى من قديم الزمان عرض مخوف وطارق مرهوب ، وكثيرا ما كانت رسول الموت وقائد الحى تحدو ركبه الى وادى الفناء . ولكن فى هذه الايام القريبة الماضية نشأت فكرة أخذت تحل محلا ذا بال فى رءوس البحاث من الاطباء ، أو فى رءوس القليل منهم الذين لاتزعجهم غرابة الخاطر ، ولا يصرفهم عن الامر خروجه عن المألوف . ومحصول هذه الفكرة أن الحمى ذلك العدو القديم للحياة قد تنقلب ، أو يمكن تأليفها وقلبها الى صديق نصير ، فبدل أن تكون عوناً على الداء ، تصبح عونا على الشفاء ، فى بعض الامراض التى عجز عنها الطب وحار فيها الاطباء

وحكاية هذه الفكرة بسيطة بقدر غرابتها ، ومنشؤها تافه بالرغم من خطورتها ، وهى فى ذلك جرت على سنة جرى عليها كثير من المستكشفات التى غيرت من سطح الارض ، وتحكمت فى مستقبل الانسان . ذلك انه منذ خمسة أعوام فى معامل للكهرباءة كبيرة مشهورة لاحظ مديرها المستر «وتنى» ان المهندسين الذين كانوا يمكثون فى مجال الكهرباءة الاستاتيكية لناقلات الراديو ذى الذبذبات العالية ، ولوزمنا قليلا . يحترون وترتفع فعلا درجة حرارتهم . وأذاع المدير فى تقرير له هذه الحقيقة ، ولكنها لم تسترع اهتمام أحد فى عالم الطب . ولحسن الطالع لم يكن «وتنى» طبيبا فلم يأبه لهذا الخذلان، وكان يهوى الحقيقة انى وجدها وكيف وجدها، وكان واسع الاطلاع كثير القراءة ، فذكر أنه قرأ مرة أن العالم النمسوى الاستاذ «وجنار ياوديج» شفى عدة أشخاص مجذومين مشلولين من أثر الجذام المعروف بالزهرى بأن أصابهم عامدا بداء الملاريا ، وذكر أن هذا الحادث أثار مناقشات حارة بين رجال الطب فى أوربا ، ثارت فى سبب هذا الشفاء أهو الملاريا أم ظروف عارضة لا علاقة لها ؟ وانتهى النقاش الى غير خاتمة

ذكر «وتنى» ذلك ، وكان جاهلا بالطب ، وذكر أن الملاريا تصحبها حرارة عالية ، فتراءى له فى لمحة ان الحمى التى تصحب الملاريا ربما كانت هى السبب الاول فى الشفاء ، ذلك أنها تطبخ ميكروب الجذام فتهلكه . وتراءى له أنه لو صح هذا لكان للحمى التى تحدثها الكهرباءة مثل هذه الصفة . على أثر هذا استأجر خبيرة فى علم وظائف الاعضاء اسمها الآنسة «هوزمر» فاثبتت له ان الفئران وأمثالها من الحيوانات القارضة يمكن اصابتها فى المجال الكهربائى بأى قدر يراد من الحمى . وبعد ذلك استخدم الدكتور «كربنتر» وهو بكتريولوجى ذو خبرة وأمانة ، فعدى كثيرا من الارانب بالجذام ثم وضعهم فى المجال الكهربائى ليصيبهم بالحمى فشفاهم بذلك

نشرت هذه الابحاث منذ ثلاث سنين ، كان من المنتظر ان تثير فى عالم الطب عاصفة ، ولكنها لم تثر الا نسائم خفيفة ، وسبب هذا أن الطب امتلأ فى السنوات الأخيرة بأكاذيب كثيرة وشعوذة مهينة للعلم ، صدرت عن علماء أو متعالمين ، وعدا هذا فالجديد اينما سار يجرورراءه ظلا من الريبة ، ولاسيما اذا كان الجديد بالغا فى الغرابة، شديد المناقضة للمعروف ،وقد تكون بساطته سببا لاتهامه ، وتعقده شفيعاً له الى قلوب الناس وعقولهم .

لم يجزع «كربنتر» للذى لقى من جمود القوم ، وأخذ سبيله ، فبنى صندوقا أشبه شىء بناووس الموتى ، وأغرى قوما يؤمنون بالتضحية فى سبيل الخير بالدخول فيه ، فاستطاع بالكهرباءة أن يرفع درجة حرارتهم ، ولم يلبث قليلا حتى وجد أنه بضغط زر أو ادارة عقرب يستطيع أن يتحكم فى حرارة المريض رفعا أو خفضاً مقلدا بذلك حمى الملاريا ، ولم يلبث أن ذهب هذا العلاج بجنون ثلثى المرضى الذين عالجهم . ولكنه كان علاجا مؤلما شديد الوطأة ، وهو فوق ذلك لا يؤتمن ، لأن المريض أثناءه يتصبب عرقا يتجمع فتتركز فيه الطاقة الكهربائية ،فيحدث من هذا تفريغ ينشأ عنه شرر وبرق يحرق جلد المريض ، ولعل جنون المرضى فى الاحوال المذكورة كان رحمة ، فلولاه لخافوا الالم ونظروا فى العاقبة فاحجموا

لو أن تجربة «وتنى» وقفت عند هذا الحد لما قدر لها النجاح ، ولكانت طرفة نفعها للعلم وللتاريخ فحسب ، ولظل الطبيب الى

الابد يعالج هـذا الداء بالزرنيخ ، ذلك العقار السام الذى لا تؤدى القناطير منه الى شفاء تام لاشبهة فيه . ولـكن فى يوم شات مثلج من يناير عام ١٩٣١ بالولايات المتحدة بلغ رجلا من العلماء ما كان من أمر التجربة ، ففكر فخال لساعته أنه لو صـنع خزانة على مثال الناووس وأمرّ فيها تيارا من الهواء الساخن بقدر لبخر بذلك العرق المتساقط من المرضى فحماهم خطر الحريق . وبعد عشرة أشهر كان هذا العالم مع رفقة آخرين آثروا جميعا ستر أمرهم الى حين قد أتموا الخزانة فى حجرة من مستشفى متداع ببقعة بغرب الولايات لا تسمى . وكان فاتحة أعمالهم أن وضعوا فيها ضحية من ضحايا الزهرى — ولم تكن الخزانة تهيأت للهواء الساخن يمر فيها — ولكن الرجل كان فى المرحلة الاخيرة من المرض يعانى كربه فلم يبال أحيا خرج من الخزانة أم ميتاً ، ولعله رأى فيها وسيلة انتحار أضمره لا تصم ذويه من بعده ، واليوم هذا الرجل حى يرزق ان كان يشكو شيئا فذلك أنه لا يكتسب من عمل يومه بمقدار مايحب

وأدخل الهواء فى الخزانة على درجة ٥٠ مئوية وكانت هذه الحرارة تظن كافية لتجفيف قطرات العرق المتجمعة على اجسام المرضى ، ولكن هذا الظن لم يتحقق كله ، وعلى رغم ذلك جرى العمل على ما رسم بفضل مهندس شاب مخلص قيم على جهاز الهواء ، وممرضات صبورات كن يبعثن من لطفهن وأنوثتهن وحنانهن الامل والرجاء ، فى قلوب المرضى التعساء ، وهم فى الخزانة ، فى ألم من الداء وهول من الدواء .

وفى ذات أحد من الآحاد اشتعلت النار بالخزانة فانقض فى نصف ساعة بناء عام ، فكنت لا ترى الا ركاما من فحم ورماد وأنابيب منصهرة وأسلاك ملتوية ، والى جانب هذا الحطام المهندس الفتى والممرضات بعيون شاخصة حجبت أبصارها الدموع

لم تستطع النار ولا الدمار اللاحق أن يضعف من همة تلك الرفقة الكريمة فى صراعها فى سبيل الخير . فلم يمض قليل من الزمن حتى أقاموا خزانة جديدة أقرب الى الغرض وأكثر إراحة للمرضى ، وقد يكون بعض النفع من البلاء ، وجاءت النقالة بعد النقالة تفرغ فى الخزانة الجديدة حمولتها من أجسام أهلكها الجذام وأعقابه ، وما لبث الكثير منهم ان خرج من المستشفى على رجليه يسعى كالناس يحدوه رجاء جديد فى حياة جديدة . من ذلك شاب بلغ الزهرى الى أعصابه وشرايينه فلم يكن يستطيع الحراك ولا اطعـام نفسه . حم فى الخزانة ثلاث مرات كل مرة خمس ساعات فاستطاع بعد ذلك أن ينال فمه بيده . وبعد الحمى الثامنة استطاع أن يقف لأول مرة على قدمين مرتعدتين ، وذلك بعد عام من بدء العلاج ، وهو الآن يزاحم الأحياء بالمناكب فى الطرقات يسعى الى رزقه سعيهم الى أرزاقهم .

ومن ذلك طفل فى التاسعة من عمره جاءت تقوده أمه لأن الزهرى كان أصاب عينيه فلم يكد يفرق بهما بين نور النهار وظلمة الليل ، حم تسـع مرات فارتد اليه بصره كما كان . وعولج اثنا عشر مريضاً ممن شل الزهرى أجسامهم وذهب بعقولهم فعاد اليهم جميعا صوابهم الا واحداً . وعولج آخرون ظاهرهم الصحة وفى دمائهم خبث المرض فتطهروا بعد الحمى من الداء الدفين النائم الذى قد يستيقظ يوما من أيام العمر فيودى بصاحبه بعد أن يذيقه ألوان الشقاء

وتتجه الأبحاث فى الوقت الحاضر الى محو مرض الزهرى وهو فى أدواره الأولى قبل ان يستقر الميكروب فى جثمان المريض ويتغلغل فيه الى حيث أصول الحياة ومنابتها ، وقد لا يمضى عقد من الزمان حتى يمكن تأمين ملايين البشر من هـذا البلاء الذى لا تزيده الأيام الا انتشاراً ، ففى أمريكا وحدها نحو من عشرة ملايين مسهم هذا الوباء ، اما بالعدوى واما بالوراثة . وفى مصر يفتك الداء فى ذوى الخطايا والأبرياء على السواء ، وهو فى مأمن من الاحصاء

وسوف تقوم دون انتشار هذا الجهاز الجديد عقبات ، منها انه غالى الثمن فليس فى استطاعة كل مطبب حيازته ، ومنها انه معقد ككل جهاز فى أول نشأته ، ومنها أن التطبيب به ليس من الأمور اليسيرة الا فى أيد خبيرة قديرة ، وبقوامة ممرضات لبقات صبورات تدربن خصيصاً لهذا العـلاج الجديد . وهى كلها عقبات هينات عرفت حيلة الانسان كيف تتخطى الألوف من أمثالها ، وانا لما تأتى به السنون لمرتقبون .

* العمدة فى اخبار هذا المقال الاستاذ بول دى كرويف

كلبتى (بلوتا)

بقلم الاديب حسين شوقى

من المظنون ان العبقرية لاتغيب طويلا عن (كرمة ابن‌هانى.) فان البواكير التى تتفتح عنها قريحة حسين شوقى فى الشعر والقصص لابد أن تذكرها بمهبطها الاول ومألفها القديم ، ولعلك واجد فى هذه القصة الساذجة من رقة الحديث وخفة الاسلوب مايبعث الأمل فى هذا الظن .

اذا سقت اليك الحديث الآن عن كلبتى (بلوتا) فانما هى حجة أصطنعها لأذكر فصلا من عهد الطفولة اللذيذة التى تنعش ذكراها النفس كأنما هى على حد تعبير المصريين القدماء : مكان رطب ظليل فى يوم قيظ لافح . .

(بلوتا) كلبة اسبانية ، حصلنا عليها فى برشلونة أثناء المنفى ، على سبيل الهدية . . وكان صاحبها من رجال السلك السياسى اضطرته المهنة أن يغادر اسبانيا الى بلد آخر بعيد ، وكان يخشى ما تجره اليه بلوتا من متاعب أثناء الطريق ، فرأى ان يهديها الينا . .

قدمتنا بلوتا بعد ظهر يوم من أيام الشتاء ضاح جميل ، وكنا مجتمعين فى الحديقة ننظر ذلك العضو الجديد فى أسرتنا ! .

حقاً ! ما كان أجمل بلوتا بشعرها الأبيض الناصع ذى اللفائف المتعددة ، لانها كانت من النوع الذى يشبه الخراف فى فروته ، . . وكان شعرها مقصوصا على شكل يحاكى لبدة الأسد ، أرسلوه الى آخر الصدر ثم حلقوا النصف الباقى بالموسى . . وكان فى عنقها طوق أحمر يبدو احمراره بين الخصل المكدسة من تلك الفروة القطنية . .

وكانت بلوتا فى تلك اللحظة تمشى الهوينى فى خيلاء وتيه كأنها تطلب منا أن نتأمل حسنها فى أناة ، أو ربما لم يكن فى استطاعة المسكينة أن تمشى أسرع من ذلك لبدانة جسمها . . وقد سميت من أجل هذا بلوتا أى الكرة . .

وألفت بلوتا عشرتنا فى أقصر مدة ، حتى كانت تضايقنا بهذه الألفة . . اذ لم يعد فى استطاعتنا أن نذهب الى أى مكان بدونها

وكان فى احدى ضواحى برشلونه متنزه جميل تتوسطه بحيرة حفت بالأشجار الكثيفة الملتفة فكنا نقصد هذا المكان فى أيام الصيف فنتغدى على ضفاف البحيرة ، فكانت بلوتا ترافقنا الى هذا المكان . . بل كانت تتقدمنا اليه فى المسير . . فاذا ما شاهدت الماء جن جنونها فتلقى بنفسها فى البحيرة وتظل تسبح طول النهار رائحة غادية فى عظمة وأبهة كأنما هى مدرعة تختال فوق عباب الأطلنطيق!

فاذا دعوناها الى الانصراف أبت مغادرة الماء ، فكان لابد من الاحتيال عليها لاخراجها منه ، وكانت أنجع الحيل معها ان نلوح اليها من الشاطىء بقطعة من السكر ، لانها كانت مولعة بأكله . فاذا خرجت لتلتهمه قبضنا عليها بسرعة !

لشد ما كانت بلوتا تعبد الماء ! ، انها لتحملنى على ان أصدق الرأى القائل بتقمص الأرواح ! فليت شعرى فى أى نوع من السمك قد حلت روح بلوتا من قبل ياترى ؟

الفت بلوتا كلاب الحى كذلك ، حتى كان لها من بينهن العشاق الكثر . . لأن كلاب الاسبان ككلاب الشرق يملن أيضا الى الأجسام البضة !

واذا كان لبلوتا «كما تقدم» شكل الأسد ، فلم تكن لها أبدا شجاعته ، فانها كانت تولى الأدبار عند ما يحتدم الشجار بين عشاقها (من أجلها) وتعود فتختبىء تحت سريرى . .

والأمر الغريب ان بلوتا كانت على علاقة حسنة حتى مع القطط ! كانت مثال التسامح صادقة الايمان بمبادىء لوكارنو السلمية !

ولما كانت بلوتا بدينة الجسم فقد عولت ذات يوم على ان أجرب على جسمها التمارين الرياضية لاخفف من شحمها المتكدس ، فكنت فى صباح كل يوم أطرحها على الأرض ثم أشد يديها الى الخلف ، ورجليها الى الأمام . . مرارا عديدة . . حتى تئن المسكينة من التعب والألم وكلما كان والدى يرانى منهمكا فى ذلك ، كان يلومنى على عملى صائحا ، ما أقسى طبيعة الطفل ! أما أنا فكنت أفعل هذا لأنتقم لنفسى على حساب بلوتا المسكينة ، مما كنت أعانيه من الشدة فى التمارين الرياضية بمدرستى من أستاذها الألمانى .

ولشد ما كانت بلوتا ذكية أيضا !

كانت لها حجرة نوم تحت السلم طولها متران فى مثلهما عرضا.. وكانت الخادم تأتى كل ليلة الى الصالون حوالى الساعة العاشرة فتأخذها من بيننا لتذهب بها الى تلك الحجرة فتغطيها باللحاف، لان ليالى برشلونه الشتوية قارسة البرد، فاذا أبطأت الخادم فى بعض الليالى فى الحضور، كانت بلوتا تذهب بنفسها الى حجرة نومها ثم تعود الى الصالون وفى فمها غطاؤها، وتظل منتظرة على هذه الحال حتى تحضر الخادمة فترافقها الى مضجعها!.

وكانت بلوتا تعبد الشكولاته! واليك ما صنعته بى ذات مرة: كنت أنا أيضا أحب الشكولاته.. فكنت أشترى منها كل يوم - لدى عودتى من المدرسة - بماقيمته خمسة قروش، لان مرتبى لم يكن يسمح لى وقتئذ وآسفاه ان أشترى بأكثر من هذه القيمة.. وكنت آكلها سرا حتى لا يشاركنى فيها أحد.. ولكن بلوتا بذكائها الفطرى العجيب كانت تدرك الامر فتقف أمامى حينما تعرف ان القرطاس بجيبى، ولا تبرح مكانها حتى أناولها قطعة منه.. ففى ذات يوم كنت جالسا الى مكتبى، عاكفا على دراستى ولم أعطها فى تلك المرة حصتها من الشكولاته، فلم يكن منها إلا ان دست يدها خلسة فى جيبى فسرقت القرطاس وذهبت دون ان اشعر، فلما وضعت يدى فى جيبى لاخرج قطعة من القرطاس لم أجده، ولكننى عرفت فى الحال من هو السارق، فاسرعت الى السرير حيث اعتادت بلوتا ان تختبىء لانقذ ما يمكن إنقاذه، فوجدتها ويا للاسف قد التهمته كله!.. وكانت الشكولاتة قد لوثت ذقنها.. لقد غاظتنى فى ذلك اليوم لانه كان يوم عطلة ولم يكن فى استطاعتى ان اشترى قرطاسا آخر.. فلما انتهت الحرب الكبرى، وسمح لنا بالعودة الى مصر، اردنا ان نتعجل الرجوع الى الوطن المحبوب فاجمعنا الرأى على أن نركب أول باخرة تغادر أوربا، لذلك قصدنا البندقية لنلحق باخرة إيطالية كانت تتأهب للسفر بعد أيام قلائل، ولما كان السفر طويلا شاقا على السكة الحديدية من برشلونة الى البندقية، فقد تركنا بلوتا عند بعض الاصدقاء فى برشلونة ليرسلها الينا فى مصر على الباخرة التى تسافر من برشلونة مباشرة الى بورسعيد بعد شهر من ذلك التاريخ

وما كان أسعدنا وأسرنا حين جاءتنا برقية تنبئنا بوصول بلوتا الى بورسعيد!. هرع فى مساء ذلك اليوم الى محطة القاهرة والدى وأخى وأنا لاستقبالها.. فلما وصل القطار اذا بنا نجد بلوتا سوداء اللون كأنها أحد عمال المناجم، لأن المسكينة قطعت المرحلة ما بين بورسعيد والقاهرة فى عربة الفحم!.. عرفتنا بلوتا فى الحال.. وكم كان سرورها عظيما! فكانت تارة تقبل ايدينا، وطورا تجذب أرديتنا، ومرة أخرى تقفز فى الهواء، على رغم بدانتها.. اما ركاب القطار فكانوا ينظرون اليها دهشين.. ولما عدنا بها الى المنزل استطاعت بلوتا بقوة شمها الحاد ان تعرف حجرة والدتى فقفزت الى سريرها بفحمها وغبارها فايقظتها، ولم تنج بلوتا فى تلك الليلة من عقاب محتم الا لفرط اشتياقنا اليها بعد غيبتها الطويلة!

ولكن مسرات هذا العالم وأسفاه قصيرة المدى! كما يقول سرفانتس.. فانه لم تمض على بلوتا أشهر قليلة فى مصر حتى مرضت مرضا شديدا اضطرنا إلى قتلها كى تستريح مما كانت تكابد من عذاب وألم

ثم دفناها بالحديقة تحت الشجرة الكبيرة بالقرب من السور الخلفى.. ثم حفرت اسمها وتاريخ ميلادها ووفاتها على شاهد من المرمر نصبته على قبرها. ومالك تستكثر على بلوتا الوفية الذكية هذا الاكرام وفى الكلاب ناس كما فى الناس كلاب؟



بليـــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك

ترجمة الاســتاذ حسن صـادق

أشخاص القصة :

١ — اركل ملك ألموند
٢ — جنفييف أم بلياس وجولو
٣ — بلياس حفيد إركل
٤ — جولو « «
٥ — مليزاند
٦ — إينيولد الصغير ولد جولومن زوجه الاولى
٧ — طبيب

الفصل الأول

المنظر الأول :

(غابةفى وسطها ينبوع ماء بعيد الغور تجلس على حافته مليزاند — يدخل جولو)

جولو — أقحمنى النزق تيه الغابة الكثيفة ،وأخاف أن يعيينى الخروج منها . . . الله يعلم الى أى مكان قادنى الجواد وهو ضال فى جموحه ! وقد جمعت فزعى فى يمناى وقدمى : ثم صببته فى جروح قاتلة تفتحت فى جسمه الملتهب ، ولـكنه أصر على الجموح وأسرف فى الغضب ، ولمـــا ضللت الطريق أفلت منى وأمعن فى الهرب . فقدت الجواد و يقينى أنى هالك فى هذا المكان الموحش . . . ستأكل الطير من رأسى وتلغ الضوارى فى دمى ، ولن يعرف كلابى السبيل الى ، سأعود الى البيت راجلا اذا اهتـديت الى الطريق . . . ماهذا ؟ أخرير ماء أسمع أم هنين بكاء ؟ آوه ! من هذا الراقد على العشب ، المطل على صفحة الماء الهادىء ؟ فتاة على حافة الينبوع تنوح ! (يسعل) إنها لا تسمع صوتى ولا أرى وجهها (يقترب من مليزاند ويلمس كتفها) لم تبكين ؟ (تنتفض مليزاند وتنهض مذعورة تريد الهرب) . خلى عنك الفزع فلست مارداً وما أنا من الشياطين . لماذا تبكين وحدك فى هذا المكان الموحش ؟

مليزاند — ابتعد عنى ! لاتقربنى !

جولو — لا تخافى ولاتجزعى . لن يصيبك منى سوء . . . آوه ! ماأجملك !

مليزاند — إليك عنى أو ألقى بنفسى فى الماء !

جولو — إنى بعيد ، بينى وبينك خطوة . أترينني ؟ إنى باق فى مكانى أتحامل على هذه الشجرة . لاتحزنى ولا تخافى . هل أصابك مكروه أم رماك أحد بشر ؟

مليزاند — أوه ! نعم نعم ! (ثم تتنهد تنهدة عميقة)

جولو — ومن الذى أشقاك ؟

مليزاند — كل الناس أشرار

جولو — وماذا أصابك ؟

مليزاند — لاأريد أن أبوح به ! لاأستطيع التعبير عنه !

جولو — كفكفى دموعك . أين مقامك ؟

مليزاند — لقد هربت .. . نعم هربت !

جولو — أدركت ذلك . ولـكن من أين هربت ؟

مليزاند — ضللت الطريق ... واصطلح على الخوف والحيرة فى سكون الغابة . لست من أهل هذا البلد ، ولم أولد حيث ترانى

جولو — من أى بلد تـكونين ؟ وأين مولدك ؟

مليزاند — من بلد بعيد المزار

جولو — ماهذا الشىء الذى يشع فى جوف الماء بريقا ؟

مليزاند — أين هو ؟ ...آه ! إنه التاج الذى أعطانى اياه . . . لقد سقط فى الماء أثناء بكائى

جولو — تاج ؟ ! من الذى أهدى اليك تاجا ؟ سأبذل جهدى فى انتشاله

مليزاند — لاتفعـــل ، لم أعد أشتهيه . تلاشت رغبتى فيه . متمناى الساعة أن أموت

جولو — هين على انتشاله فانه من حيلتى قريب

مليزاند — ليس لى رغبة فيه . إذا انتشلته ، ألقيت نفسى فى مكانه

جولو — اطمئنى بالا وقرى عينا .. سأنزل على مشيئتك، وأتركه فى مستقره ، فى استطاعتى مع ذلك إخراجه من الماء بلا عناء ! إنه رائع بديع ! هل مضى على هروبك زمن طويل ؟

مليزاند — نعم نعم . . . من أنت ؟

جولو — الأمير جولو حفيد إركل ملك ألموند الشيخ

مليزاند — أوه ! بدأ الشيب يدب فى فوديك !

جولو — بعض شعرات بيضاء نثرها الزمن على رأسى

مليزاند — وعلى لحيتك أيضا . لماذا تحدق فى هكذا ؟ !

جولو — أرنو الى عينيك ... انك لاتغمضينهما لحظة واحدة !

مليزاند — أغمضهما فى الليل .

جولو — مالى أرى الحيرة فى لحاظك .

مليزاند — أمارد أنت ؟

جولو — إنى بشر مثلك .

مليزاند — لم وطئت هذا المكان ؟

جولو — أجهل ذلك الجهل كله . كنت أصيد فى الغابة فرأيت خنزيرا وحشيا فانطلقت وراءه بجوادى . ولكنى أخطأت الصيد وضللت الطريق . . . ماء الشباب يترقرق فى وجهك ، ماعمرك ؟

مليزاند — بدأت أشعر ببرودة الهواء !

جولو — أتأتين معى ؟

مليزاند — كلا سأبقى هنا .

جولو — من ضعف الرأى أن تبقى وحدك فى وحشة الغابة ولن تستطيعى قضاء الليل فى سكون يروع القلب ويفزع النفس . . . ماسمك ؟

مليزاند — مليزاند .

جولو — تعالى نخرج من الغابة .

مليزاند — إنى باقية .

جولو — ستخافين وحدك ظلمة الليل . ومن يدرى . . . ربما تكون الغابة ذات وحوش .

. . . الليل كله ، وبمفردك ؟ ! أقلعى عن عنادك وتفهمى قولى . هاتى يدك .

مليزاند — لاتلمسنى .

جولو — لن ألمسك فلاتصيحى . سيكون الليل حالك السواد شديد البرد . تعالى معى

مليزاند — إلى أين أنت ذاهب ؟

جولو — لاأدرى . . . إنى ضال مثلك (يخرجان) .

المنظر الثانى :

(ردهة فى القصر . إركل وجنفييف جالسان يتحدثان)

جنفييف — سأتلو عليك ما كتبه إلى أخيه بلياس : « وجدتها ذات يوم عند الغبش تسكب الدمع الغزير على حافة ينبوع فى الغابة ، إنى أجهل عمرها وأصلها ولاأعرف لها وطنا . ولاأجرؤ على سؤالها لأنها نابية الطبع يستقر فى نفسها الذعر الشديد ، ويقينى أنها عانت أمرا أدخل على نفسها الاضطراب والهلع . وإذا سئلت عما حدث لها ، استخرطت فى البكاء دفعة واحدة وملأت الجو بالتنهدات العميقة التى تفرض على السائل الصمت والخشوع . وقد مضى على زواجى منها ستة أشهر ، ولاأعرف اليوم من أمرها أكثر مما عرفت فى ساعة اللقاء الأولى . ولكنى آمل أن أصل إلى ماأريد بعد وقت وجيز . وليس هذا مايهمنى يابلياس ، يامن أعزه أكثر من شقيق ولو أننا لسنا من صلب واحد ، وإنما الذى يشغل بالى ويقض مضجعى هو أمر العودة إلى أحضانكم والعيش بينكم كما كنت قبل الزواج . ولذلك أكتب اليك ضارعا أن تعبد لى الطريق . أعلم علم اليقين أن أمى تعفو عنى فرحة مستبشرة . ولكنى أخاف إركل على الرغم من طيبة قلبه وسراوة خلقه ، لأنى هدمت بهذا الزواج صروح أمله وخيبت فجأة كل خططه السياسية . وأخوف ما أخافه ألا يشفع لى إلى حكمته جمال مليزاند وسحرها الحى ، فاذا قبل بعد سعيك الجميل أن يستقبلها فى بيته كما يستقبل أبنته ، فأشعل مصباحا بعد أيام ثلاثة وضعه فى أعلى البرج المطل على البحر ، حتى أستطيع رؤيته من السفينة التى أقيم فيها مع زوجى . وان رفض رجاءك فانى ذاهب إلى نية بعيدة ولن ترونى عوض » . كيف ترى ؟

إركل — وماذا أقول ؟ إن ما حدث يبدو لنا غريبا لأننا لانرى دائما إلاعكس مايهيئه القدر . . . كان فى كل حين يتبع نصحى ، وقد اعتقدت أن زواجه من الأميرة (إرسول) يهيء له أسباب السعادة ، ولذلك تقدمت إليه أن يذهب إلى أهلها ويخطبها إليهم ! لم يكن فى مقدوره أن يعيش منفردا ، وقد ثقلت عليه الوحدة بعد موت زوجه ، وحزت فى جلباب نفسه الحزينة . لو تم هذا الزواج الذى كنت أرغب فيه ، لوضع حدا لحروب طويلة وأحقاد قديمة ! لم يشأ ذلك . فليكن الأمر كما أراد . إنى لم أجعل من نفسى قط عقبة تعترض حظ انسان ، وهو يعرف مستقبله أحسن منى . وربما أنتج عمله نفعا لاندركه اليوم .

جنفييف — كان فى كل أدوار حياته حازما رزينا بعيد النظر ، وقد وقف كل حياته بعد موت زوجه على ولده الصغير (راينيولد) لقد نسى كل شيء . . . والآن ماذا نصنع ؟

(يدخل بلياس)

(يتبع)



لغو الصيف

بقية المنشور على صفحة ٦

رجل من الناس أى جيل من الأجيال ، تركتهم قوما كراما يكرمون آباءهم وامهاتهم ، ويؤثرون ابناءهم وبناتهم ، ويشفقون من الآلام ، ويسرعون الى اللذات ، ويكثرون القول ، ويقصدون فى العمل ، ويفرون من الدور ، ويستقرون فى الأندية ، ويطيلون الحوار فى الأدب والسياسة ، ويقرأون الصحف ويعبثون بكتابها . . . قالت يا له من سيل جامح لا يقف ولا يهدأ ولا يتئد ، ولا يتخير ما يحمل ، ما عن هذا أسألك ، وما طلبت اليك ان تصور لى المصريين كما تراهم انت بهذا الرأى المظلم القاتم ، الذى لا يعجب بشىء لا يرضى عن شىء ، بل ينكر كل شىء ، انما سألتك ... قال يا له من جدول هادىء متئد ، عذب ظريف ، لا يحمل غثاء ولا جنادل ، وانما هو صافى الصفحة نقى الأديم ، كله رضى وكله ابتهاج ، وكله أمل ، إنما تسألينى عن الأدباء اليس هذا ما كنت تريدين ، قالت هو هذا ، ومتى رأيتنى أتحدث اليك عن غير الأدباء ؟ قال فقد تركت الأدباء فى شغل شاغل وهم مقيم ، يقولون فيطيلون ، ويعملون فلا يبلون ، وكأنهم هذا القطار الذى يهم بالحركة فيكثر فيه الضجيج والعجيج والقعقعة والاضطراب ، وهو ثابت فى مكانه لا يريم ، لأن الله لم يأذن له بالحركة بعد ، او لأن أداة من أيسر أدواته لم يتح لها ان تشترك فى العمل مع أخواتها ، قالت وما ذاك ؟ قال إنهم يذكرون حافظا ، فقد دار العام على وفاته ، ولم يصنع له أحد شيئا . فهم يلومون أنفسهم وهم يلومون غيرهم ، وهم يلومون مصر كلها ، يلومون الشعب لأنه قصر غير عامد ، ويلومون الحكومة لأنها تعمدت التقصير ، حتى إذا أسرفوا فى اللوم واعياهم الاسراف عزوا أنفسهم وعزوا الشعب الذى قصر عن غير عمد ، والحكومة التى قصرت عن عمد بأن حافظا كان أديبا حقا ، فلا غرابة فى ان تدركه حرفة الأدب . وقد كان حافظ رحمه الله حسن الحظ ، ميسرا له فى الأمر بالقياس الى زميله فى حرفة الادب منذ أكثر من الف سنة . فانت تذكرين أنها قد أدركت ابن المعتز فانتزعته من الخلافة ، ولما يقم فيها يوما ولم يكفها أن تنتزعه من الخلافة ، فانتزعته من الحياة على شر الاحوال وأشدها نكرا ، اما حافظ فقد كان بائسا فى حياته لم يعرف النعيم ، والبؤس أيسر من الخلع ، والبؤس الدائم ايسر من البؤس الطارىء ، بعد طول النعمة وحسن الحال ، وقد مات حافظ على فراشه ، والموت الهادىء أيسر من الموت العنيف ، وحافظ بائس بعد موته لم يجتمع له الناس ، ولم تمتلىء له الأوبرا ، ولم تلق فيه الخطب المدبجة ، ولا القصائد المنمقة . وقبر حافظ مجهول أو كالمجهول

ولكن هذا البؤس كله ليس شيئا بالقياس الى بؤس آخر أشد وامض ، وهو هذا الثناء المتكلف ، وهذا الاكبار المصنوع ، وهذه الخطب والقصائد التى لا يراد بها وجه الله ، ولا وجه من قيلت فيه ، وانما يراد بها وجه الذين يصرفون السياسة ويسيرون أمور الناس كما يحبون ، والى حيث يحبون ، فقد كان حافظ وما زال بائسا ، وكان حافظ وما زال شقيا ، ولكن شقاء حافظ سعادة ، وبؤس حافظ نعيم ، وما كان أحق شوقى رحمه الله واجدره بأن يشارك حافظا فى هذا البؤس المجيد ، فقد كان شوقى كما كان حافظ مجدا لمصر وللشرق وللادب العربى ؛ ولكن السياسة استأثرت بشوقى فازدردته ازدرادا ، وعجزت عن ان تستأثر بحافظ ، وأى غرابة فى هذا ؟ لقد كان شوقى رحمه الله هينا لينا رفيقا رقيقا ، وكانت فى حافظ صلابة الشعب وغلظته ، وخشونة الشعب وشدته

قالت وهى محزونة : ولكن بؤس حافظ مهما يكن مجيدا بالقياس اليه فهو عار على مصر ، ومن حق مصر لنفسها ان تكشف هذا العار ، وكانا قد بلغا ناديا من هذه الاندية التى يكون فيها الرقص مع المساء والتى يؤخذ فيها الشاى ، فاتخذا مكانا منزويا فيه دون ان يتفقا على ذلك ، انما هى رغبتهما فى اتصال الحديث ، وزهدهما فى هذا المتاع الذى يتهالك عليه الناس ، ولم ينقطع حديثهما وقتا طويلا ، انما هى لحظة طلبا فيها الى الخادم ما كانا يريدان ، ثم اتصل بينهما الحديث ، ولكنه لم يمس أمير الشعراء ولا شاعر النيل . قال ومع ذلك فلم تسألينى عن مصر والمصريين وانت ترين مصر وأدباءها فى فرنسا كأحسن ماتحبين ان تريهم ؟ قالت فى فرنسا ؟ واين ذاك ؟ قال ماذا تصنعين اذن منذ تركت السفينة ؟ ألا تقرئين ؟ قالت لا . قال بل تكتبين وقد كان ينبغى ان أفهم هذا ، ولعلى قد فهمته حين رأيت تلك الصحف المنثورة على المائدة ، والتى اسرعت الى جمعها واخفائها حين رأيتنى مقبلا عليك كأنك خفت أن أمد اليها يدا ، أو أن أختلس اليها نظرة ، قالت لا تقل هذا ولا تسرف فى التجنى ، فما كنت أستطيع ان أمضى فى الكتابة وقد أقبلت ، وما كان ينبغى لى أن أدع المائدة مختلطة كما كانت ، قال فاذا سألتك أن اقرأ بعض هذه الصحف التى كانت منثورة فهل تأذنين ؟ قالت هذا شىء آخر ، دعنا من هذه الصحف المنثورة فستقرأها يوما ما ، ولكن حدثنى أين وكيف أستطيع ان أرى مصر والمصريين فى فرنسا ؟ قال تستطيعين أن ترى مصر والمصريين فى فرنسا الآن ؟ وفى هذا المكان ، وعلى هذا النحو ، ثم أخرج لها صحيفة النوفيل ليترير ونشرها ، وقال انظرى ، فنظرت فدهشت فسكتت ، ثم قالت هذا غريب ! صفحة أدبية عن مصر لا يكاد يكتب فيها مصرى ! قال ولو ترجم

مافيها للمصريين لرأوا أنفسهم كما يرونها فى المرآة الصافية الناصعة ، أليس قد صور لهم كاتب أمير شعرائهم العظيم تصويرا لا يصفه من قريب ولا من بعيد ؟ أليس قد زعم هذا الكاتب ان قد كان لامير الشعراء خصوم كلهم بغيض ؟ أليس قد أذاع هذا الكاتب بين الفرنسيين والاوربيين الذين يقرأون هذه الصحيفة صورة عن شاعر مصر وعن انصاره وخصومه لا تلائم رأى مصر ولا حاجتها ، وانما تلائم رأى السياسة القائمة وحاجة السياسة القائمة ، ؟ قالت سأقرأ هذا الفصل ، ولكن انظر ، قال وما تريدين أن أنظر ؟ اتظنين انى لم أقرأ هذه الصفحة قبل الآن ؟ ماذا تنكرين ؟ فصل لصديقنا الاستاذ أنطون الجميل عن المجمع اللغوى الملكى ، أى غرابة فى هذا ؟ قالت وهى تضحك ضحكا حزينا ، الغرابة أن يعلن عن هذا المجمع فى فرنسا ولما يوجد فى مصر بعد ، قال لم يوجد الآن فسيوجد بعد عام ! قالت فقد كنت أحب من صديقنا ، بل كنت أحب لصديقنا أن ينتظر حتى يوجد هذا المجمع بالفعل قبل أن يكتب عنه فيطيل ، فقد أرى أن فصله غير قصير ، وما عسى أن يكتب بعد أن يوجد المجمع ؟ قال ليس على صديقنا بأس من أن يكتب عن مجمع ان لم يوجد بالفعل فهو موجود بالقوة ، ولا سيما اذا طلبت اليه الكتابة وأثقل عليه فى الطلب ، وليس اسراعه الى الكتابة فى شىء هو الى الوهم اقرب منه الى الخيال ، فضلا عن الحقيقة الواقعة هو الذى أنكره عليه او الومه فيه ، انما أنكر عليه فهمه للمجامع اللغوية وتصويره لتاريخها عند العرب ، أترين الى اسواق الجاهليين ؟ لقد كانت مجامع لغوية عند الاستاذ انطون الجميل . اترين الى قصور الخلفاء ؟ لقد كانت مجامع لغوية عند الاستاذ أنطون الجميل ، ثم اترين الى مدارس اللغة والنحو والادب فى البصرة والكوفة وبغداد وفى حلب ودمشق والقاهرة وقرطبة ؟ لم تكن من المجامع اللغوية فى شىء عند الاستاذ انطون الجميل .

هذا كثير ! الا ترين ذلك ؟ قالت وأكثر منه أن يستجيب صديقنا لدعوة السياسة ، وان يرضى صديقنا لنفسه أن يضع الادب من السياسة هذا الموضع ، وقد كنت ارى أنه يحب اخضاع السياسة للادب ، لأكتبن اليه ، قال لا تفعلى ، فليس هو الآن فى القاهرة ، انه يطوف فى لبنان فانتظرى حتى تعودى ويعود ، ثم خذى معه فى هذا الحديث ، ولكن أقرئى هذا الفصل وفكرى فيه ، فهو فصل من فصول الصحف السيارة فى مصر لا أكثر ولا أقل

ولكن حدثينى اتريدين أن تطيلى الاقامة فى نيس ؟ قالت وانت حدثنى كيف وقعت الى نيس وانت تقصد الى مدينة النور ؟ قال وهل يكون النور الا حيث أنت يا آنسة ؟ قالت مغيظة : هل تعلم انك تثقل على احيانا بهذا العبث السخيف ؟ قال ما أردت هذا ولا فكرت فيه ، وما أرى انى الام ان كنت ثقيلا ، فلعل الثقل أن يكون بعض طبيعتى ؟ فخذينى كما أنا ، قالت فان لم يعجبنى منك هذا ، قال فاحتمليه على أى حال ، فلعل عندى ما يهون عليك احتماله ، اتريدين أن تطيلى الاقامة فى نيس ؟ قالت سأقيم اياما ، وانت ؟ قال سأقيم فيها ما أقمت ان لم يثقل عليك ذلك ، وسنرتحل معا حتى اذا كنا فى بعض الطريق تخلفت أنت فى مدينتك الجامعية الصغيرة فاصطليت فيها حر الصيف ونار العلم والآدب ، ومضيت انا الى باريس ، ومن يدرى ، لعل نار الادب والعلم أن تستهوينى فاتخلف وقتا طويلا أو قصيرا ، وهل أنا فراشة تستهويها النار ، ولا تكره أن تحترق بها ؟ قالت فى شىء من التفكير : انت مقيم فى نيس ما أقمت ، مرتحل عن نيس اذا ارتحلت عنها ، متخلف حين اتخلف ، مصطل للنار التى أريد أن اصطليها . قال هذه خطة مرسومة ، وكيف تريدين يا آنسة أن تغيرى ما رسم القضاء ؟

طه حسين

« محمد — بقية المنشور على صفحة ٣٢ »

فلقد أبى الله سيدى ومولاى وخالق الا أن يصحبنى فى هذه الوحدة

«حليمة» أرأيت الله يابنى ؟

«محمد» وأنت الا تبصرينه ؟ انه غير بعيد عنى ، ولا يبرح يتراءى لى عند الينبوع الدافق الهادر ، وتحت السرحة الغناء ، وفى الظل الرقيق البهى . . لقد توافى الى من عليائه فاحسست حرارة حبه ، وشق صدرى وانتزع من قلبى حوباته حتى يتاح لى ان أفهم معنى حبه ! .

«حليمة» : ولكنك تحلم ! اذن كيف يقدر لك ان تحيا وقد شق الله صدرك ؟

«محمد» سأصلى صلاتى لله فلعله يضىء عقلك فلا يبدو لك حديثى غامضا مبهما

«حليمة» : وأى اله هذا الذى تعبد ؟ أهو اللات أم هو هبل ؟

«محمد» : أى شعبى التعس ! انك لتضل السبيل وتنزع الى الحجارة والأصلاد فتجعل منها الها يعبد ! ولكننى ما زلت أحبك على شديد تعسك ، وهذا الحب الشديد العنيف هو الذى يحفزنى الى مصارحتك بان هذه الحجارة التى تصلى لها لا تستطيع أن تستمع لك ، وليس فى ميسورها أن تفتح لك ذراعيها

«حليمة» : أين يسكن الهك ؟

«محمد» : انه فى كل مكان ياحليمة ! . .

النجوم فى مسالكها

أدب جديد

للأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

ليطمئن دعاة الجديد من كتابنا الأدباء فلست بمقاسمهم فخر نصر أحرزوه، ولا بمنازعهم فضل طريق شقوه، وليطمئن أنصار القديم فلست بمنتقص تراثا عزيزا قدسوه، ولا عائب جمالا فتنوا به وألفوه، ولكنى مطلعهم على واد جديد من أودية الأدب تلتقى عنده وجهاتهم، ويجدون فيه جميعا ماينقع غلتهم.

سيجد فيه عشاق المعانى المبتكرة منبعا خصبا، لايعوزهم معه أمتداد فى الخيال أوسعة فى التأمل أوعمق فى التفكير، وسيجد فيه عشاق الصياغة البارعة، والأنغام الرنانة مشاهد سحريه تتجلى فى وصفها بدائع صناعتهم، وآفاقا خلابة يطيب فيها ترديد أنغامهم، ومسارح للجمال أشد استهواء وأروع تناسقا من كل مامر بخاطرهم

ففيه مبعث التفكير ومهبط الوحى لمن كان عصى الابتكار، يضنيه تلمس الخيال الرائع، ويجهده أن يلد كل يوم جديدا، وفيه ذخيرة الرأى ومادة الوصف لمن كان غنيا باللفظ والصياغة فقير المعانى هذا الأدب هو ما أسميه أدب العلم.

وقد يبدو غريبا امكان التزاوج بين العلم والأدب، فقد ألفنا أن نرى العلم سلكا من الحقائق الجافة يؤلف بينها منطق صارم دقيق، وألفنا لغة العلم مضغوطة جافة مشحونة بمصطلحات موضوعة تجعل بينها وبين الغريب عن العلم حجابا، وألفنا الأسلوب العلمى محبوكا لايكاد يفلت منه ماينم عن كاتبه، ولايكاد يطل عليك من خلف عباراته روح انسانية تفيض عليه الحياة، فهو جسم سليم الأعضاء تام التركيب، ولكنه ميت لاروح فيه، وهذا شر ماضيق دائرة العلم وحصره فى طائفة المشتغلين به.

والأدب؟ لقد ألفنا الأدب متمردا على مقاييس المنطق الجافة يحمل رسالته للقلوب لاللعقول، هو روح يفيض على كل مادة فيسبغ عليها حياة خالدة، هو نفس الأديب مقطرة تشف من وراء كل عبارة يسطرها، هو موسيقى الانسانية تتجاوب أصداؤها فى كل قلب، ومن أجل ذلك كان الأدب رسالة عامة يفهمها الناس جميعا ويطربون لها، فكيف التقى الأدب والعلم؟

أن الثقافة الحديثة هى التى قربت بين المتباعدين، وألفت بين المتنافرين، فلقد أنتجت كثيرا من العلماء المتأدبين، أو الأدباء العالمين، وقد وجد هؤلاء من حقائق العلم ماهو أعجب من أوهام الخيال، وبصروا بعين العلم مشاهد ترتد عنها العين غير العلمية كليلة لاتبلغ جمالها ولاتدرك مافيها من فتنة.

وسمعوا بأذن العلوم موسيقى رائعة دقيقة لاتصل الى الآذان غير العلمية، ووصل العلم بين الماضى والحاضر، والقريب والبعيد، والحياة والفناء، والمادة والطاقة

وسلك الكل فى وحدة «كونية» تضاءلت أمامها الوحدة «الانسانية» وطلع علينا أدب كونى اسمى وأروع وأبدع من الادب الانسانى الضيق

حطم الأدباء العالمون الحواجز التى كانت تعزل العلم عن الجماهير، وأسبغوا مواهبهم الأدبية على حقائق العلم فكسوها حلة فتانة قربتها للجماهير، فكانت غذاء لعقولهم وشفاء لقلوبهم...

وبين يدى مثل رائع لهذا الأدب العلمى هو كتاب «النجوم فى مسالكها» الذى وضعه بالانجليزية العلامة السير جيمس جينز، ونقله الى العربية صديقنا الدكتور احمد عبد السلام الكردانى

هو سياحة فى الكون على أجنحة الخيال العلمى، تعبر بك ملايين السنين والأميال وتنقلك الى عوالمه. وتقف بك عند السيارات والكواكب، وتخترق بك الشمس، وتريك أسرار كل هذه العوالم

وستنسى نفسك وأنت تسبح مع الكاتب كما نسيت نفسى؛ ثم تؤوب منها كما عدت منها وقد امتلأت يقينا بجلال الله وعظمته، وشعوراً بقدرته وبالغ حكمته، وسترى كما رأيت مبلغ غرور الانسان وهو ليس الا هباءة حقيرة فى جزء حقير من الكون! وتعجب كيف طوعت له نفسه أن يناصب العداء هذا الخالق العظيم الذى دبر هذا الكون الذى لاندرك مداه فأحكم تدبيره

ومالى أقطع عليك بالوصف لذة تلك السياحة وأنت لابد قارئها

وواجد فيها ما وجدت ، وفوق ما وجدت ، ولقد وفق صديقى « الكردانى » كل التوفيق فى تعريب الكتاب فجاءت عباراته طلية واضحة دقيقة ، ويبدو فى كل صفحة من صفحاته مجهود فى اللغة يهنأ عليه الأستاذ المعرب كل التهنئة

ولن ينقص من قيمة هذا المجهود الكبير تلك الحملة الظالمة التى حملها كاتب مقنع فى جريدة الاهرام على تعريب هذا الكتاب ، وراح يتلمس عثرة للمعرب فلم يجد الا بضعة الفاظ عابها عليه وهى مفخرة له

أن عبارة النقد تنم عن كاتبها وسوء نيته ، وانى لأرجو أن يمر بها المعرب وتمر بها لجنة التأليف والترجمة والنشر مر الكرام ، وسيجدون من انصاف القراء وتقديرهم لهذا الكتاب القيم ما يكفيهم عناء الرد عليه

أكرر التهنئة لصديقى « الكردانى » وأرتقب مع القراء مجهودات أخرى له فى الأدب العلمى الذى نفتقر اليه أشد افتقار ؟

أربعون يوما من عام ١٩١٤

تأليف الجـــنرال موريس

وترجمة الضابط محمد عبد الفتاح ابراهيم

تأبى حركة الترجمة فى مصر الا أن تكون قوية عنيفة واسعة النطاق حتى تشمل كل نواحى الحياة وشتى ضروب التفكير ، فهذه آيات الادب الغربى الرائعة ، والوان العلم المختلفة تنقل الى اللغة العربية . ويطالعها المصريون فيشاطرون العالم المتمدين علمه وأدبه ، حتى لتكاد العقلية المصرية أن تندمج فى العقلية الاوربية اندماجا تاما ، ولم تقتصر حركة الترجمة على الآداب والعلوم ، ولكنها امتدت فتناولت شعبا واطرافا متنوعة دقيقة ، نعم امتدت حركة الترجمة حتى شملت الثقافة الحربية أيضا ! فهذا كتاب « أربعون يوما من عام ١٩١٤ وضعه بالانجليزية الجنرال موريس ونقله الى العربية الضابط الفاضل محمد عبد الفتاح ابراهيم . وأول ما نلاحظه أن المعرب ضابط فى الجيش ! !

ولست أشك فى أن القارىء يسىء الظن . كما كنت أنا أسىء الظن : بضباطنا جميعاً من حيث الرغبة فى الاطلاع والدرس . فنحن اذن نسجل الثناء للمعرب الفاضل مضاعفاً ، فقد أثبت نشاطاً أو ميلا الى النشاط العلمى بين ضباطنا ، وهو فوق ذلك قد ساهم بكتابه هذا فى حركة التعريب الشاملة بنصيب محمود .

والكتاب تاريخ دقيق لاربعين يوما من سنة ١٩١٤ ، تلك السنة التى رفع فيها الستار عن أكبر مأساة شهدها التاريخ ، اذ انطلقت صيحة الحرب العظمى تدوى فى ارجاء العالم دويا شديدا ، فارتج منها رجة عنيفة امحت فى أثرها دول وأنشئت أخرى . ففيه تحليل للخطط الحربية التى رسمها الالمان والفرنسيون ، فتشعر حين قراءته بالمهارة البارعة التى كانت تبدو من قواد الفريقين ، فهى محاورة طريفة بين الالمان والفرنسيين على الحدود الغربية ، أقرب الى مباريات اللهو واللعب منها الى أى شىء آخر : هذا يريد أن يأخذ خصمه على غرة ويحيط بجناحيه أو يغزو قلبه ، وذلك يفسد عليه خطته بمهارة فائقة تدعو الى الاعجاب

ويخيل اليك وأنت تقرأ الكتاب أنك بصـــدد رقعة للشطرنج بين لاعبين ، يكيد كل واحد منهما للآخر وينصب له الاحابيل (ولكن لم تكن وأسفاه قطع ذلك الشطرنج من خشب أو عاج ، وانما كانت أرواحا بشرية تحصد حصدا بغير حساب)

الكتاب لذيذ ممتع حقاً ، وجدير بكل ضابط وكل مشتغل بالتاريخ أن يقرأه ويقتنيه . ولغـــة المعرب سلسلة ، فيها كثير من الدقة فى التعبير والشرح ، لولا بعض الاخطاء النحوية التى نؤاخذه عليها ، وأظنها أكثر من هفوات يجوز أن تجتمع فى كتاب واحد

نذكر قليلا منها على سبيل المثل : فى صفحة ٥٢ وردت هذه العبارة: تسود الجنود روحا غريبة » وصحتها روح غريبة . وفى ص ٢٠٨ « لم يكن ذو دراسة ، وصوابها لم يكن ذا دراسة . وأمثال هذه الاخطاء كثير فى الكتاب نرجو المعرب أن يتدار كها بالتصحيح فى الطبعة الثانية ان شاء الله ، كما نرجو أن يكون أكثر دقة فى تعريب الاسماء الجغرافية ، فيذكرها كما هى شائعة معروفة فى الكتب العربية ولا ينقلها حرفا بحرف ، فمثلا فى صفحة ٣٨ ذكر مدينة باسل وهى تنطق بال بحذف السين ، فذلك أكثر نفعا لقراء الكتاب

ز . ن . م

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ